استلاب الحداثيين مسألة خلق القرآن الكريم "دراسة ونقد"

إعداد الدكتور

جابر منصور علي أبو الحمد

مدرس التفسير وعلوم القرآن في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

جامعة الأزهر مصر

"استلاب الحداثيين مسألة خلق القرآن الكريم دراسة ونقد"

جابر منصور علي أبو الحمد
قسم التفسير وعلوم القرآن ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا ، جامعة الأزهر، محافظة قنا، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: GaberAbuElHamd.4119@azhar.edu.eg

الملخص :
استهدف البحث بيان استغلال الحداثيين لمحنة خلق القرآن عند المعتزلة، محاولين تلميع الأقوال الماضية، واضعين ذلك في أسلوب ظاهره الدعوة إلى منهج علمي صحيح للنقد، بينما يخفي في باطنه طريق هدم لتراث الأمة، مستخدمين القضية للوصول إلى إبطال الوحي ونفي الرسالة المحمدية، وقصرها على زمانها لا تتعداه، بزعم أن القرآن مجرد محاولة بشرية، متسللين إلى إبطال أحكامه، رافعين شعار التنزيه مرة، وإعادة حيوية النصوص مرة أخرى، طاعنين في الدفاع عنها إما لزعمهم أنها مستمدة من شرائع أخرى، أو أنها كانت جانبا من جوانب السياسة، ومن ثم ألقيت الضوء على الحداثة، ونشأتها، وخصائصها، وأهدافها، وعلى مسألة خلق القرآن عند المعتزلة وعندهم مبينا الهدف عند كليهما معتمدا على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بجمع وعرض ما يمكن من أقوال الحداثيين حول النقطة موضوع البحث، مما يوضح أن هذه أفكارهم، ثم تحليلها، ثم استخدمت المنهج النقدي، فنقدت ما قالوه وقمت بالرد عليهم، مثبتا خبثهم وتدليسهم وانحرافهم، وعدم مراعاتهم أي مقدس، وأنهم ما جنحوا إلى العقل إلا لأغراضهم، وإلا فالهوى وحظ النفس، مما يوجب يقظة أهل البحث والتدقيق، والتصدي من أولي الأمر، والله من وراء القصد .

الكلمات المفتاحية : استلاب، الحداثيين، خلق ، الوحي.

Modernists' alienation of the issue of the creation of the Holy Qur'an, study and criticism

Jaber Mansour Ali Abu Al-Hamad
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences,
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Qena,
Al-Azhar University, Qena Governorate, Arab Republic of Egypt.
Email: GaberAbuElHamd.4119@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aimed to demonstrate the modernists' exploitation of the ordeal of the creation of the Qur'an at the Mu'tazila, trying to polish the past sayings, putting that in an outwardly style of calling for a correct scientific approach to criticism, while concealing in its heart a way to destroy the nation's heritage, using the case to reach the annulment of revelation and the negation of the Muhammadan message, and its shortness It does not transgress its time, claiming that the Qur'an is just a human attempt, sneaking in to invalidate its rulings, raising the slogan of impartiality once, and reviving the texts again, challenging their defense either because they claim that they are derived from other laws, or that they were an aspect of politics, and then I shed light on modernity, its origins, characteristics, and goals, and on the issue of the creation of the Qur'an according to the Mu'tazila, and they have a clear The goal for both of them is based on

the descriptive analytical approach, by collecting and presenting as much as possible of the sayings of the modernists on the point in question, which makes it clear that these are their ideas, then analyzing them, then I used the critical approach, so I criticized what they said and responded to them, proving their wickedness, fraud, deviation, and lack of consideration.

Keywords: alienation, modernists, creation, revelation.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل عوجا، أنزله نورا مبينا وهدى وشفاء ورحمة للمؤمنين، بشيرا ونذيرا لقوم يسمعون، والصلاة والسلام على أشرف معلم الهادي إلى الصراط المستقيم، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد، فإن من أعظم النعم نعمة العيش مع القرآن الكريم فهما وتدبرا وعلما وعملا، ومن أجلِّ ما تنفق فيه الأعمار وتنقضي العيش لنصرته والدفاع عنه وإننا نرفع من قدرنا إذا عملنا لذلك ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، فهو معجزة الله الدائمة، وعصب التشريع ومنهاج الحياة؛ ولذا تكفل الله بحفظه ليكون موضع الثقة على مر العصور والأزمان، لكن شاءت إرادته ﷻ واقتضت حكمته أن يكون الصراع دائما بين الحق والباطل ليميز الخبيث من الطيب، فلقد كان في كل عصر ومصر أصحاب هوى ومصلحة صُمت آذانهم عن الهدى، وطُمست بصيرتهم، فنجدهم بين الادعاء والافتراء تنفيذا لما غلب عليهم من هواهم وشهواتهم، فلجأوا إلى العناد والمكابرة، وقابلوا إحسان الباري بالإساءة والكفران. ولطالما كان القرآن دائما الهدف الأول الذي حاول أعداء الإسلام الطعن فيه، لأنه القاعدة الأساسية لهذه الأمة مهما طرأ عليها من أهوال، فنجدهم يثيرون الشبه تلو الأخرى، ولو دققنا النظر لوجدنا المادة واحدة، وما هو إلا اختلاف في الشكل واللون، فما يثار حديثا من شبهات لا يكاد يخرج عما ذكر قديما، ولقد ذكر القرآن ذلك وفنده تفنيدا بليغا، فأفحم الأقوال وأبطل الحجج، ولا مخافة في ذلك على أهل اليقين والرسوخ بصلاحية القرآن لكل زمان ومكان، إنما على من تلعب نفوسهم فباع الواحد منهم آخرته بدنيا غيره، فهرب إلى حضارة أساسها المادية باحثا عن السعادة واللذة ولا سعادة إلا في القرآن ومعه. ودائما ما كانت الهجمات على القرآن تشتد حينا وتهدأ حينا آخر، لكن الهجمة حاليا أشد ضراوة، لما ركنت إليه من إعلام فاسد، ولتولي هؤلاء الفسدة مناصب جعلت غيرهم ينظرون لهم على

أنهم قدوة فحذوا حذوهم، وفي المقابل ضعفت الثقافة وندر العلم الذي يرده الناس به ويذودون عن كتاب ربهم. ولقد كان من حنكة أهل الكفر أنهم لما أدركوا أن سرَّ انتصار المسلمين يكمن في قوة تمسكهم بكتاب ربهم أن زرعوا في جسم الأمة من جنسها من يدين بدينها، ويتكلم لغتها، فتسوروا على أسرار القرآن ومعانيه فذهبوا يقرؤونه قراءة سموها معاصرة، تمسخ مفاهيمه، وتُعيد النظر في تشريعاته، فاشتغلوا بإفراغ العقول وملئها بمغالطات، ليساعدهم ذلك فيما يتناسب مع مصلحتهم وأطماعهم، ورغم عدم تخصصهم نجدهم يطعنون في كتاب الله ﷻ مبتغين كل مخالف من الرأي وغريب من القول، فجعلوا من الدخيل أصيلا ومن الأصيل دخيلا، فمرة يقصدون اقتلاعه من أصله وإبطال مصدره، أو بنسبه إلى البشرية مرة وإلى الحدوث أخرى، أو أنه عالة على ثقافات بائدة، أو أنه جامد لا يصلح، ولا يجدون عيبا تنضحه صدورهم إلا وألصقوه به، متدثرين بدثار البحث العلمي، والموضوعية، والتجرد مشيعين أنهم يجتهدون، ويفكرون، ويتدبرون، ولا حرج بالطبع في كل ذلك، لكن المتتبّع لهذه المشاريع يجد أنَّ حقيقتها وأهدافها واحدة، وإن اختلفت مسمّياتها، فأصحابها غالبًا ما ساروا على منوال الدّراسات الغربية دون مراعاة للأصول المنهجية العلمية، وضوابط الاجتهاد، وخصائص هذا الدّين، واختلاف بيئته مع تلك البيئات التي نهلوا منها. وذكرت سابقا أنهم ليسوا أهل تخصص في علوم الشرع، فهم في العموم متخصصون في الفلسفة والفكر الإسلامي والأدب، وقد أباحوا لأنفسهم الحديث في علمٍ له رجالُه الحاذقين لأصوله ومبادئه، ولقد كان أغلب هؤلاء ذوي نزعة تمردية على الموروث الثقافي الإسلامي، فركبوا موجة النقد للأصول محاولين هدم المعطى الحضاري للأمة، وبناء نظريات غريبة بآراء شاذة محاولين النيل من منزلة كتاب الله وسنة رسوله عند الأمة، وزحزحة ثقة المسلمين فيهما. ولكن الله ﷻ سخر طائفة تفضح طويتهم وتبين مبتغاهم، وترد كيدهم في نحورهم ، وأسأل الله أن أدلي بدلوي وأضرب بسهمي مع هذه الثلة الطاهرة، حتى تظهر حقيقتهم واضحة وتعلن نواياهم الباطلة. ولما نظرت في كتب هؤلاء وجدتها منصبة على هدم القرآن الكريم من أساسه، ومن أعظم فِراهم تعلقهم بشبهات من سبق

قد عفا عليها الزمن، وتلميعها بثوب العصر وطرحها مرة أخرى، ولعل من أوائل الشبهات هذه المحنة العظمى التي لاقى فيها العلماء صنوف التعذيب والأسى ألا وهي "فتنة خلق القرآن" وهي تعتبر من أوائل الانحرافات الفكرية، فاستغلوا ظاهرها وأرادوا من خلالها تحقيق مآربهم التي سنتناولها خلال هذا البحث، ولقد نظرت فيمن تناولها من السادة العلماء الأفاضل فوجدت من تناولها كنقطة في الأغلب من الناحية العقدية ضمن بحث كامل في حديثه عن واحد من الحداثيين أو البعض منهم، أو كمطلب صغير، لا على وجه منفرد يحاول استيعابها، مما يفحم هذا الأمر ويتناوله كله بالرد والتفنيد، فأردت بعد سؤال الباري التوفيق والسداد وأن لا يجعلني ممن تكلف قولا فزلت فيه قدمه، أن أتناول هذا الموضوع، وقد سميت هذا البحث: "**استلاب الحداثيين مسألة خلق القرآن الكريم دراسة ونقد**". وقد عبرت بلفظ الاستيلاب لما فيه من معان تليق بالمقام، إذ الاستيلاب مصدر استلب وهو يأتي بمعنى الاختلاس والانتزاع، والخطف، استلبَ الشَّيءَ: سلَبه، انتزعه قهرًا [1]، وكلها معان تليق بما فعلوه من تراث المسلمين من انتزاع وخطف لبعض الشبهات وإعادة تدويرها، وقد عبرت بالتدوير وكأنها تعاد من جديد مع الفارق أن عودتهم فيها من القلق وشق عصا الأمة والهجوم على تراثها ما فيه .

أهمية البحث والهدف منه:

يستمد البحث أهميته من أهمية الهدف الذي أُلف البحث من أجله ألا وهو الدفاع والذب عن كتاب الله تبارك وتعالى، وصونه عن كل ما يدور في نفس كل فاسد ؛ فمن أهم أهداف هذا البحث :

– حماية القرآن من التلاعب وتلقف الشبهات سواء عن قصد أو غير قصد .

– دراسة وتحليل ونقد ما يطلقه بعضهم من كلمات رنانة وعبارات جوفاء مثل تناولهم القرآن بفهم جديد، مما يجذب أشباه المثقفين، والرد عليها وإبراز وجه الحق فيها بالحجة والدليل في إطار نقدي.

---

١ – لسان العرب مادة (سَ لَ بَ)، معجم اللغة العربية المعاصرة ج ٢ ص ١٠٨٩ مادة (سَ لَ بَ)، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) ، عالم الكتب ، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

– بيان الدوافع خلف ما هو ظاهر من سوء النية وخبث الطوية من تقويض تراث الأمة وعلى رأسها علوم القرآن الكريم .

– القضاء على ما يترتب على فكرة خلق القرآن عند الحداثيين عن طريق ذكر الأدلة التي تؤيد ذلك .

– الإسهام في تعميق الفهم لدى الباحثين في التفسير وعلوم القرآن فيما يبثه الحداثيون من أفكار من منظور علمي، والكشف عن طبيعة دورهم، وإطلاع المهتمين علميا والمتابعين للشأن الديني على أمرهم وما يفعلون من أجل الوصول إلى أهدافهم.

– الإسهام في تطوير الدراسات المتعلقة بعلوم القرآن بغرض تحصينها حصانة علمية هادفة.

أسباب اختيار الموضوع :

– أخْذ الحداثيين تراث المعتزلة تكأة للوصول إلى أهدافهم، وليس سيرا على منهجهم من تنزيه المولى تبارك وتعالى ووضع قدسية القرآن الكريم في المقام الأعلى.

– اكتساح هذه الدراسات النقدية مساحات لا يستهان بها بين الأوساط الثقافية، وحتى الشعبية، والتي تُشعر الجميع أنها نشأت للاجتهاد في فهم الدين من داخل دائرته، وأنها تسعى إلى فهم الإسلام الفهم الحق بخلاف من يدرس الإسلام من خارج دائرته مثل المستشرقين والعلمانيين.

– كثرة الترويج الإعلامي لآراء الحداثيين، وترك مساحة لهم، ومحاولة تغليب آرائهم، مما يمثل خطرا على شباب المثقفين من الافتتان بهم والاقتداء والسير على خطاهم، مما يحتم ويوجب الرد عليهم بطريقة تبث اليقين في النفس وتبين المسار الصحيح للأمة .

– حاجة المكتبة الإسلامية إلى الحديث في هذا الموضوع الذي يحتاج إلى أكثر من معالجة، وأن يتناوله أهل العلم من جوانبه المختلفة.

– كل مسلم جندي على ثغر من ثغور الإسلام، فلا يُؤْتَى من قِبَله، أحببتُ أن أدلي بدلوي في هذا المضمار، لأني لا أحب أن تتسرب هذه الأفكار العفنة، والآراء النتنة، إلى عقول المسلمين.

مشكلة البحث :

استغلال الحداثيين مسألة خلق القرآن ومحاولة إحيائها؛ موحين للناس أن هذه القضية ما أخمدها إلا جور السلطة والقهر، متسللين من خلال ذلك إلى الطعن في كتاب الله تعالى وزحزحة قدسيته في نفوس المسلمين، ومن باب أولى صد غيرهم عنه، نافين مصدره الإلهي، قائلين ببشريته، مبطلين الوحي، وقد ترتب على ذلك مسائل عدة هي من الخطر بمكان، متذرعين في كل ذلك بأنهم ما نقدوا إلا لأجل إظهار الحق، وأنى يكون ذلك ؟!

الدراسات السابقة:

كل ما سنراه لم يناقش نقطة البحث على وجه الاستقلال وإنما كمطلب صغير أو كنقطة في ثنايا بحثه :

١- العلمانيون والقرآن الكريم "تاريخية النص" د/ أحمد ادريس الطعان، كلية الشريعة بدمشق، ط : دار ابن حزم بالسعودية، ط: الأولى ١٤٢٨ -٢٠٠٧، وكما نرى أن الكتاب منصب على مناقشة فكرة التاريخية وكيف هي عند الغرب والحداثيين وكيف استخدموها في علوم القرآن .

٢- التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد، تأليف منى محمد بهي الدين الشافعي، ط : الأولى ١٤٢٩، ط: دار اليسر بالقاهرة، قد تعرضت المؤلفة فيه تحت عنوان شبهة أن القرآن ليس كلام الله تعالى والرد عليها، وهو كما نرى أولا مطلب من مؤلف تعرضت فيه ضمن كلامها لأزلية النص.

٣- الدراسات الحداثية للقرآن الكريم من دعاوى التجديد إلى إثارة الشبهات، لسعيد عبيدي ، باحث في حوار الحضارات ومقارنة الأديان ، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية ، ، العدد ٤ ، ٥ للعام ٢٠١٧-٢٠١٨م ، ذكر فيه المؤلف بعضا من آراء الحداثيين حول القضية موضوع البحث إلا أنه لم يتناولها بالرد والتفنيد .

٤- نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التراث (دراسة تحليلية)، رسالة دكتوراه د/ إبراهيم محمد أبو هادي للعام الجامعي ١٤٣٢-١٤٣٣ ، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، تعرض المؤلف لاستخدام أبي

زيد كلام المعتزلة في بعض صفحات قليلة، ومن ضمن كلام المعتزلة القول بخلق القرآن ، والرسالة تخص قسم العقيدة كما سبق ذكره ، فبعيدة عن الجانب التفسيري وعلوم القرآن.

٥ – التهوين من مسألة القول بخلق القرآن ومآلاته عند المعاصرين، بحث مكون من خمس عشرة صفحة نشره مركز سلف للبحوث والدراسات، إعداد فوزي عبد الصمد، تناول فيه بعض الحديث عن القرآن الكريم وإسقاط إعجازه ، وتحريفه، لكن الحديث كان في جزء كبير من البحث يميل إلى مباحث العقيدة.

٦– الحداثيون واستئناف القول بخلق القرآن ، لحباسي خالد وهو بحث مكون من أربع عشرة صفحة نشر بمجلة المنهل الجزائرية ، المجلد السابع العدد ٢٠٢١/١ ومن العناوين التي تشابهت مع البحث " النتائج الحتمية لتبني مقولة المعتزلة بخلق القرآن " لكنه لم يتجاوز الثلاث صفحات من المقطع الصغير . وعلى كل فلا يزال الموضوع في حاجة إلى جهد ، فالله أسأل التوفيق لما يحب ويرضى.

منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بجمع وعرض ما يمكن من أقوال وآراء الحداثيين حول النقطة موضوع البحث، ومعرفة مكنوناتها، مما يوضح أن هذه أفكارهم، ثم تحليلها، ثم استخدام المنهج النقدي، وذلك بنقد ما قالوه وتفنيده والرد عليهم. ولمزيد من البيان قد عرفت ببعض رموز المنهج الحداثي، ولا سيما من نقلت آرائهم فعرفت بهم جميعا، ولم أذكر ترجماتهم مرة أخرى في أثناء البحث خشية الإطالة، كما قمت بتخريج الآثار الواردة في البحث من مظانها ، والله ولي التوفيق .

خطة البحث : اقتضت طبيعة الموضوع أن يأتي في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وقد اشتملت على: – أهمية البحث والهدف منه. – أسباب اختيار الموضوع. – مشكلة الدراسة – الدراسات التي سبقته. – منهج البحث. – خطة البحث.

المبحث الأول: خلق القرآن بين المعتزلة والحداثيين ،وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إطلالة على الحداثة ونشأتها وخصائصها وأهدافها .

المطلب الثاني: مسألة خلق القرآن .

المطلب الثالث: الحداثيون وخلق القرآن.

المبحث الثاني : حجج الحداثيين على مقالتهم بخلق القرآن ، وما ترتب عليها، وقد اشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: أسباب وحجج الحداثيين في قولهم بخلق القرآن وعدم قبولهم القول بأنه ليس مخلوقا .

المطلب الثاني : ما ترتب على قول الحداثيين إن القرآن مخلوق .

المبحث الثالث: دحض فرية الحداثيين في مقالتهم، وقد اشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : الرد على قولهم بنفي الوحي، إذ به تنتفي الرسالة.

المطلب الثاني : الرد على قولهم أن القرآن تجربة بشرية وما فرعوا عليه من مواقف.

ثم بعد ذلك الخاتمة وتشتمل على أهم نتائج البحث، وأهم التوصيات، ثم ثبت المراجع .

المبحث الأول

خلق القرآن بين المعتزلة والحداثيين

وقد اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إطلالة على الحداثة ونشأتها وخصائصها وأهدافها .

المطلب الثاني: مسألة خلق القرآن .

المطلب الثالث: الحداثيون وخلق القرآن.

❁❁❁❁❁

المطلب الأول : إطلالة على الحداثة ونشأتها وخصائصها وهدفها:

يتطلب الأمر بعض المعرفة عن الحداثة بين النشأة والأهداف .

تعريف الحداثة لغة: مصدر الفعل (حَدَثَ) حَدَثَ الشيءُ يَحْدُثُ حُدُوثاً وحَداثةً، وأَحْدَثه هُوَ، فَهُوَ مُحْدَثٌ وحَديث، وَكَذَلِكَ اسْتَحدثه، والْحَاءُ وَالدَّالُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ كَوْنُ الشَّيْءِ بعد أن لَمْ يَكُنْ، وإِحْدَاثه: إيجاده، ويقال لكلّ ما قرب عهده محدث، فعلا كان أو مقالا، الحَدِيثُ: الجديدُ مِنَ الأَشياء، والحديثُ: نقيضُ الْقَدِيمِ. والحُدُوث: نقيضُ القُدْمةِ. وَلَا يُقَالُ حَدُث، بِالضَّمِّ، إِلَّا مَعَ قَدُم، الحَدَثُ: الأَمْرُ الحادِثُ المُنْكَرُ الَّذِي لَيْسَ بمعتادٍ، وَلَا مَعْرُوفٍ فِي السُّنَّة، وحِدْثانُ الشَّيْءِ، بِالْكَسْرِ: أَوّلهُ. [1]

إذا نظرنا لهذه المعاني الواردة لهذه الكلمة نجد أنها بمعنى أول الشيء، والجديد منه، وأنها تحتمل معنى التجديد، مما يحدث لها جاذبية لدى النفس، لكن إذا نظرنا لما اصطلح عليه العلماء من معنى لهذه الكلمة نجده يبعد بعد المشرق من المغرب، من قلق ورفض للتراث وتشويه للآراء، والثورة على التراث، وأبدا ما كان رفع شعار يعني صحته، فالصحة تظهر من المسلك والمنهج. وحتى لا نطنب في وصف يراه الجميع ننظر إلى ما قاله العلماء، والملاحظ أنهم وإن اختلفوا في العبارة إلا أن المعنى واحد:

---

١ – مقاييس اللغة ، المفردات في غريب القرآن، لسان العرب مادة " حَ دَ ثَ " .

فالحداثة اصطلاحا: مذهب فكري علماني غربي يهدف إلى إلغاء مصادر الدين، ويعتمد العقل في التمرد على كل قديم موروث ليحل محله فلسفات وضعية في مجالات الحياة كلها . [١]

وهناك من عرفها بأنها: تيار فكري ذو مفاهيم فلسفية تقوم على رفض الماضي تراثا، وقيما، ومبادئ؛ ليبني مرجعية جديدة ترتكز على العقل وتقديس الإنسان في عملية التحديث التي ينتهجها، وذلك في تمحور شديد حول الذاتية الفردية والقيم النفعية[٢]. وإذا نظرنا لهذه التعريفات الاصطلاحية نجد أن لفظ الحداثة في واقعنا لم يعد ما يدل عليه المعنى اللغوي من تجديد بل هي محاولة الإنسان المعاصر رفض الموروث الثقافي، واستبداله بآخر جديد تسود فيه المذاهب والفلسفات الأوربية المادية الحديثة، مستخدما إياها لتغيير الحياة والتمرد على الواقع، وللأسف قد امتد هذا الفكر فأصبح يمثل حركات ومذاهب امتدت بين دول العالم.

نشأة الحداثة :

لم تنشأ الحداثة من فراغ، وإنما هي امتداد إفرازات المذاهب والتيارات الفكرية والاتجاهات المتعاقبة التي عاشتها أوروبا في القرون الماضية والتي قطعت فيها صلتها بالدين والكنيسة وتمردت عليها، وقد ظهر ذلك جليا منذ ما عرف بعصر النهضة في القرن الخامس عشر الميلادي عندما انسلخ المجتمع الغربي من الكنيسة وثار على سلطاتها الروحية، التي كانت كبوسا مخيفا وسيفا مسلطا على رقابهم لأنها تحارب كل دعوة للعلم الصحيح والاحترام لعقل الإنسان وفكره. [٣] ولقد تعامل الحداثيون مع المرجعية الشرعية الفكرية للأمة المسلمة بنفس المنهجية التي تعامل بها العقل الغربي مع المرجعية

---

١ – الحداثيون العرب وموقفهم من القصص القرآني عرض ونقد، د بسام محمد محمود عبيدات ص ٢٦.

٢ – التوظيف الحداثي لآيات المرأة وإشكالياته " جمال البنا" نموذجا ص٢٥، د . كفاح كامل أبو هنود، ط: الفاروق بالأردن ، ط: الأولى ١٤٣٣ –٢٠١٢ .

٣ – الحداثيون العرب وموقفهم من القصص القرآني عرض ونقد ، د بسام محمد محمود عبيدات ص ٣٢ بتصرف .

الدينية، لكن الدوافع التي صاغت الموقف الغربي تختلف جملة وتفصيلا عن طبيعة المشكل الذي يواجه العقل المسلم، ففي حين يحتاج المسلمون اليوم إلى إحياء القرآن ومعانيه في عالمهم لينهضوا معه من جديد، ما كان للغرب أن يبدأ نهضته لو ظل مكبلا بأساطير الكنيسة. لكن الحداثيين في إغفال متعمد للتاريخ والحقيقة يرفعون راية الإصلاح الغربي بكل حيثياتها في عالم القرآن، لذا فقد ارتكزوا في منهجيتهم في التعامل مع القرآن على محور غربي ومرتكز مستورد ألا وهو التحرر من سلطة النص القرآني .[١]

ومن أعلام الحداثة ممن اشتهر بتأليفه في الدراسات القرآنية على وجه الخصوص: [٢]

١- محمد سيد العشماوي: تدرج في المناصب القضائية حتى وصل رئيسا لمحكمة الجنايات ومحكمة أمن الدولة العليا بمصر، كما عمل محاضرا في أصول الدين والشريعة في عدة جامعات، ومن مؤلفاته: أصول الشريعة، الربا والفائدة في الإسلام، الإسلام السياسي، جوهر الإسلام، معالم الإسلام ، وغيرها .

٢- عبد المجيد الشرفي: أستاذ الحضارة العربية والفكر الإسلامي وعميد كلية الآداب في جامعة منوبة بتونس، ومن مؤلفاته: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، تحديث الفكر الإسلامي، الإسلام والحداثة، في قراءة النص الديني، وغيرها.

٣- محمد أركون: تدرج في المناصب العلمية حتى أصبح أستاذ التاريخ الإسلامي والفلسفة بجامعة السوربون، ومن مؤلفاته: الإسلام أوروبا الغرب، الفكر الاسلامي قراءة علمية، القران من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، قضايا في نقد العقل الديني، وغيرها.

٤- حسن حنفي: وصل في الدرجات العلمية حتى أصبح أستاذا بقسم الفلسفة بآداب القاهرة، ومن مؤلفاته: التراث والتجديد، الوحي والواقع، قضايا معاصرة

---

١ – التوظيف الحداثي لآيات المرأة ص ٦٢ بتصرف واختصار.

٢ – الحداثيون العرب وموقفهم من القصص القرآني عرض ونقد ص ٧٦ : ٨٥ بتصرف واختصار.

في فكرنا المعاصر، من العقيدة الى الثورة، هموم الفكر والوطن، وله العديد من الترجمات لتمكنه من الانجليزية والفرنسية والألمانية ،مثل: تربية الجنس البشري للسنج، ورسالة في اللاهوت والسياسة، لباروخ سبينوزا .

٥- محمد عابد الجابري: أستاذ الفلسفة والفكر العربي في كلية الآداب بالرباط، ومن مؤلفاته :مدخل إلى القرآن الكريم ، معرفة القرآن الحكيم ، التفسير الواضح حسب أسباب النزول وهو أول تفسير حداثي للقرآن الكريم ، وغيرها .

٦- نصر حامد أبو زيد: تدرج في المناصب العمية حتى أصبح أستاذا للدراسات الإسلامية في كلية اللغة العربية بجامعة القاهرة، ومن مؤلفاته: الخطاب والتأويل، النص السلطة الحقيقة، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، نقد الخطاب الديني، وغيرها.

٧- طيب تيزيني: حصل على الدكتوراه في الفلسفة، وعمل في التدريس بجامعة دمشق، وعضو جمعية البحوث والدراسات، ومن مؤلفاته: النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة، في الحداثة والفكر الإسلامي، مشروع رؤية جديدة للفكر العربي، مقدمات أولية في الإسلام المحمدي، وغيرها .

٨- هشام جعيط: تدرج في المنصب العلمية حتى أصبح عضوا في عدة لجان دوليه، وعضوا بالمجمع العلمي التونسي وبالأكاديمية الأوروبية للعلوم والفنون، وأستاذا متميزا بجامعة تونس، ومن مؤلفاته: الوحي والقرآن والنبوة ،أوروبا والإسلام، تاريخ الدعوة المحمدية، أزمة الثقافة الإسلامية، وغيرها .

ورغم أن هؤلاء جميعا بلغوا أعلى المناصب العلمية ، إلا أنهم جميعا معول هدم للتراث الإسلامي، وأبواقا تردد فكر الغرب، كما اتفقت آرائهم حول نزع قدسية القرآن الكريم، والحرب عليه .

خصائص الحداثة:

١- سيادة العقل، فالحقائق تستمد قيمتها من كونها نتاجا للعقل البشري.

٢- نفي كل الثقافات السابقة عليها، والتغيير المستمر، وإن كان هذا التغيير يؤدي في كثير من الأحيان إلى أزمات داخل المجتمعات.[١]

٣- افتعال المشاكل من لا شيء واختلاق الأزمات الفكرية التي لا وجود لها، ففي حين يرى المسلمون أن اليقين المنافي للشك من أهم شروط صحة الإيمان لقوله ﷻ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] وأن تحققه في القلب هو الحد الفاصلَ بين الإيمان والنفاق، يفتعل العلمانيون الضجات الفكرية والإعلامية التي يطالبون المسلمين بالتخلي عن ثوابت دينهم والشك فيها بل وانتقاصها بتوجيه النقد إليها.[٢]

٤- أنها قراءة إشكالية غير واضحة الأبعاد والمقاصد؛ فلا يتوانى الحداثيون في طرح أسئلة بلا حدود، ولا تهمهم الأجوبة والتدليل عليها ومقاصد البحث فيها، بقدر ما تهمهم المناقشة والإثارة والنقد لا العلم الذي يحقق الاعتقاد السليم، فالنقد وسيلتهم المثلى، ولا يهمهم الاعتقاد والإيمان، يقول علي حرب: " إن أركون يعلن في أكثر من مرة في معرض بحثه وحديثه عن مشروعه الفكري أنه لا يقدم براهين قاطعة على المسائل التي يعالجها، ولا يعطي حلولا أخيرة للمشكلات التي ينظر فيها، بل الأمر عنده لا يتعدى إثارة النقاش أو شق طرق للبحث طويل وتقديم فرضيات للعمل، فهو إذا لا يقرر مذهبا ولا يبين نسقا علميا "[٣] أما الجابري فيكثر من الأسئلة، ويكثر الروايات والإجابات والتأويلات تصل إلى حد الخلط وتحير القارئ . وأبو زيد بدوره يلح على البحث في أسئلة متعددة غير واضحة الأبعاد والمعالم منها: ما مفهوم

---

١ - الانحرافات المعاصرة في التفسير " القراءات الحداثية أنموذجا " أ. د / شاكر محمود مهدي العزاوي ص ١٩٨، جامعة ديالي كلية العلوم الإسلامية ، وهو بحث بجلة كلية التربية جامعة واسط ٢٠٢٠ .

٢ - التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد ص ١٠١ بتصرف واختصار.

٣ - نقد النص لعلي حرب ص ٨١، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء المغرب ط: الرابعة ٢٠٠٥ .

الوحي القرآني؟ ما مفهوم النص؟ ما هو الإسلام؟ ما علاقة العروبة بالإسلام؟ ولا ينتهي فيها إلى إجابة محددة قائلا أنه بداية لبحث علمي في مجال شائك يبدوا أنه لم يعد فيه مجال لقول جديد. [١]

٥- إنها قراءة انتقائية ومقلدة، فهي تختار من آراء المتكلمين والفلاسفة على أنها قدمت أفكارا ومناهج صحيحة مناسبة للقرآن والعقلنة الإسلامية، وفي مقابل ذلك تنقد الأفكار والمناهج التي وجدت عند الفقهاء الأصوليين، بل وتذهب إلى أبعد من ذلك حين تعتبرها غير صحيحة وغير مناسبة وسببا للركود والتخلف الذي يعانيه المسلمون. [٢] فمثلا موضوعنا هذا نجد نصر أبوزيد عندما يعرض مذهب المعتزلة في كلام الله تعالى (القرآن) فإنه يقف وقفة لا تخلو من انتقائية لما يمكن أن يفيده في مذهبه ؛ فهو يتبنى قول المعتزلة بخلق القرآن وحدوثه مبينا أن هذا الرأي كان يعبر عن رأي مجتمع وفكره وكان قسيما للرأي الذي أصبح سائدا والذي يقول بقدم القرآن، ولهذا فإن ارتباط القرآن بحاجة البشر وتحقيق مصالحهم يجعل القائلين بخلق القرآن في نظره أصحاب رؤية حيوية. [٣]

٦- عدم التمييز بين القرآن الكريم والنصوص البشرية، دينية أو فلسفية أو أدبية.[٤]

هدف الحداثيين: إبطال مرجعية كتب التراث وإضعاف الثقة بها وقطع الصلة بينها وبين الأمة؛ لتضل طريقها، ويفقد الدين معالمه، ويلتبس على الناس الحلال والحرام؛ إذ ليس بعد قطع الصلة بين الأمة وعلمائها إلا أن يتخذ

---

١ – القراءات الحداثية للنص القرآني ، دراسة تحليلية نقدية ، د/ حمادي هواري ،ص ٤١ ، ٤٢ بتصرف واختصار .

٢ – المرجع السابق ص ٤٢ بتصرف.

٣ – نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التراث (دراسة تحليلية) ص ١٦١، رسالة دكتوراه د/ إبراهيم محمد أبو هادي للعام الجامعي ١٤٣٢-١٤٣٣ ، جامعة أم القرى ، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة .

٤ – القراءات الحداثية للنص القرآني ، دراسة تحليلية نقدية ، د/ حمادي هواري " ص ٥٥ بتصرف.

الناس رؤوسا جهالا فيضلوا، ويسلكوا كل مسلك، فقد باشر الحداثيون مجموعة من الخطوات الآثمة في سبيل زلزلة مكانة النص القرآني في عقل المسلم مثل انتقاص العلماء وكتبهم ووصفها بالسطحية تارة والرجعية أخرى، وأنها غارقة في الأسطورة والخيال ثالثة وهكذا. يقول محمد أركون: بات من الضروري التخلي عن تلك الرؤى الإسلامية التي تعرض على أنها تمثل "دين الحق" وتقدم للناس حقيقة مطلقة ثابتة متعالية على مختلف الحقائق النسبية المتحولة لأن الحق نفسه خاضع للتاريخية . [١] ويصف نصر أبو زيد القرآن بأنه النص الأول والمركزي في الثقافة الإسلامية، وهو النص المهيمن والمسيطر في الثقافة، وهو الذي يؤسس الدين والتراث لذا لابد من الانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا " [٢].

يقول عبد الرحمن حبنكة عن محمد شحرور: سلك الشحرور مسلك أخباث اليهود الذين حرفوا كلام الله عن مواضعه وغيروا الدين الحق الذي أنزل الله ﷻ على رسلهم، وتستر بالتظاهر نفاقا بالإيمان بالقرآن والسنة، والانتماء إلى الأمة المسلمة لله ورسوله، واتخذ هذا غطاء ليتسنى له أن يحرف في كتاب الله وسنة رسوله، وأن ينسف كل ما هو معلوم من الدين بالضرورة، من قضايا جذور، من أنكر واحدة منها أو حرف فيها أو غير أو بدل كان كافرا بإجماع المسلمين. أيظن أن قضايا أصول الدين المنزل قابلة للاحتراق بنار مكيدته النجسة، لقد سبق إلى ذلك كثيرون من شياطين الإنس والجن فباءوا بالفشل وخيبة الأمل، فلم يظفروا إلا باجتذاب وجر أمثالهم من أهل الكفر والردة وعبدة الأهواء والشهوات والطواغيت، وظل الدين شامخا ولو كره المشركون.[٣] أقول: ليس هذا وصفا لشحرور فحسب بل لأغلب الحداثيين من أمثال حسن حنفي وأبو زيد وجعيط وأركون وغيرهم. ينقل د/ رستم قول د /

---

١ – الفكر الاسلامي قراءة علمية لأركون ص ٣٣ ، ٥٨ .

٢ – النص، السلطة، الحقيقة ص ١٦ .

٣ – التحريف المعاصر في الدين ، ص ٨ ، ٩ ، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ط: دار القلم بدمشق ، ط : الأولى ١٤١٨ – ١٩٩٧ .

محمد سعيد رمضان البوطي في محاضرة له " جنون القراءة المعاصرة من أين وإلى أين ؟":" غاية القراءة الحداثية للقرآن الكريم تفريغَ القرآن من مضمونه الاعتقادي والتشريعي والأخلاقي، وتحويله إلى وعاء فارغ مهيأ لكل ما يمكن أن يلصق به من المعاني والأفكار."[١]

المطلب الثاني: مسألة خلق القرآن:

قالت المعتزلة،[٢] والخوارج،[٣] وأكثر الزيدية،[٤]

---

١ – نظرات في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في دول المغرب العربي ص ٢١، إعداد: أ.د /محمد بن زين العابدين رستم ، بحث مقدم إلى مؤتمر "القراءات المعاصرة للقرآن الكريم" ، جامعة شعيب الدكالي كلية الآداب شعبة الدراسات الإسلامية الجديدة المغرب، ٢٠١١ م .

٢ – سموا بالمعتزلة لأنهم فارقوا أهل السنة والجماعة وانشقوا عليهم، وتبدأ فرقتهم منذ اختلاف وَاصل بن عطاء مع شيخه الحسن البصري، وَزعم أَن الْفَاسِق من هَذِه الأمة لَا مُؤمن وَلَا كَافِر وَجعل الْفسق منزلَة بَين منزلتي الْكفْر والايمان فَلَمَّا سمع الْحسن البصرى من وَاصل بدعته هَذِه التي خَالف بهَا طرده عَن مَجْلِسه فاعتزل عِنْد سَارِيَة من سواري مَسْجِد الْبَصْرَة وانضم اليه عَمْرو ابْن عبيد بن بَاب ، فَقَالَ النَّاس يَوْمئِذٍ فيهما إنهما قد اعتزلا قَول الامة . الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، لأبي منصور الأسفراييني(ت: ٤٢٩هـ) ص ٩٨ بتصرف ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ، ط: الثانية، ١٩٧٧. الفرق الاسلامية مدخل ودراسة ص ١٩٧،د.علي عبد الفتاح مغربي ، مكتبة وهبة ، ط :الثانية ١٤١٥– ١٩٩٥ .

٣ – الخوارج : هم من خرجوا علي سيدنا علي رضي الله عنه بعد التحكيم . الفرق الاسلامية مدخل ودراسة ص ١٦٩ .

٤ – الزيدية، أتباع زيد بن عليّ بن الحسين رضى الله عنهم، وهم أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية، إذ إنها لم تغل في معتقداتها، ولم يُكَفِّر الأكثرون منها أصحاب رسول الله ﷺ، ولم ترفع الأئمة إلى مرتبة الإله أو إلى درجة النبيين، وهم يوافقون المعتزلة في بعض آرائهم الكلامية، وذلك للصلة القريبة بينهم حيث تتلمذ زيد بن علي على يد واصل بن عطاء. الفرق بين الفرق ص ١٥ ، ١٦بتصرف. الفرق الاسلامية مدخل ودراسة ص ١٦٧ .

وكثير من الرافضة[١]: إن القرآن كلام الله ﷻ وأنه مخلوق لله لم يكن ثم كان.[٢] وكانت أكثر الفرق شيوعا في القول بهذا الرأي المعتزلة، يقول القاضي عبد الجبار: وأما مذهبنا في ذلك، فهو أن القرآن كلام الله ﷻ ووحيه، وهو مخلوق محدث. [٣]

أما أَهْلُ السُّنَّةِ كُلُّهُمْ، مِنْ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ. [٤] قال أَبو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِنِيَّ: مَذْهَبِي، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَفُقَهَاءِ الْأَمْصَارِ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ، وَالْقُرْآنُ حَمَلَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام مَسْمُوعًا مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَمِعَهُ مِنْ جِبْرِيلَ، وَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم سَمِعُوهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ وَهُوَ الَّذِي نَتْلُوهُ نَحْنُ بِأَلْسِنَتِنَا وَفِيمَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، وَمَا فِي صُدُورِنَا مَسْمُوعًا وَمَكْتُوبًا وَمَحْفُوظًا وَمَقْرُوءًا، وَكُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. [٥]

---

١ – وهم غلاة الشيعة ،وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف. الفرق بين الفرق ص ١٥ .

٢ – مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج ٢ ص ٤٢٠،لأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، ت: نعيم زرزور، ط: المكتبة العصرية ، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣ – شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٨، للقاضي عبد الجبار، ت: د / عبد الكريم عثمان، ط: مكتبة وهبة بالقاهرة، ط: الثالثة ١٤١٦ –١٩٩٦.

٤ – شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٦، لابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ) ، ط: دار السلام ،ط: المصرية الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

٥ – لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ج ١ ص ١٦٢، لشمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ) ،ط: مؤسسة الخافقين– دمشق ، ط: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .

ولقد سميت مسألة خلق القرآن في التاريخ بالمحنة، وقد اتفقت كتب التاريخ والنحل على أن أول من قال بها هو الجعد بن درهم[١]، وهو من قتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى فيما أخرجه الدارمي [٢] ، ومما يبين أن هذه الفكرة يهودية المنشأ إذا نظرنا عمن أخذ؛ فقد ذكر ابن الأثير نسب هذه الفتنة في كتابه، حيث قال: سَنَةُ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، فِيهَا تُوُفِّيَ الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادَ فِي الْمُحَرَّمِ بَعْدَ ابْنِهِ أَبِي الْوَلِيدِ بِعِشْرِينَ يَوْمًا، وَكَانَ دَاعِيَةً إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ مَذَاهِبِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ، وَأَخَذَهُ بِشْرٌ مِنَ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، وَأَخَذَهُ جَهْمٌ مِنَ الْجَعْدِ بْنِ أَدْهَمَ، وَأَخَذَهُ الْجَعْدُ مِنْ أَبَانِ بْنِ سَمْعَانَ، وَأَخَذَهُ أَبَانٌ مِنْ طَالُوتَ ابْنِ أُخْتِ لَبِيدٍ الْأَعْصَمِ وَخَتَنَهُ، وَأَخَذَهُ طَالُوتُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ لَبِيدٌ يَقُولُ بِخَلْقِ التَّوْرَاةِ، وَأَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِي ذَلِكَ طَالُوتُ، وَكَانَ زِنْدِيقًا[٣]، فَأَفْشَى الزَّنْدَقَةَ. [٤] واستمرت هذه الفتنة من بعد عهد المأمون سنة ٢١٨ وفيها امتحن المأمون العلماء بخلق القرآن. وكتب في ذلك إلى نائبه ببغداد، وبالغ في ذلك، وقام في هذه البدعة قيام معتقد متعبد بها. فأجاب أكثر العلماء على سبيل الإكراه، وتوقف طائفة. ثم أجابوا وناظروا، فلم يلتفت إلى قولهم، وعظمت المصيبة بذلك، وهدد بالقتل، ولم يصب أحد من علماء العراق إلا الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح، فقيِّدا وأرسلا إلى المأمون،

---

١ – مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة والمحدثين وكتب الجرح والتعديل ، لعبد الفتاح أبو غدة ، ط: دار القلم بيروت ، بدون .

٢ – الرد على الجهمية، للدارمي (ت: ٢٨٠هـ) ص٢٠٩، ت: بدر بن عبد الله البدر، ط: دار ابن الأثير– الكويت، ط: الثانية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

٣ – الزنديق بالكسر: من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان .الرد على الجهمية والزنادقة ص٥٨ ،لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، ت: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع ، ط: الأولى، بدون.

٤ – الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) ج٦ ص ١٤٩ ، ت: عمر عبد السلام تدمري، ط: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ،ط: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

لكن جاءهم الفرج بموت المأمون وعهد بالخلافة إلى أخيه المعتصم[١]، ثم استمرت من عهد المعتصم ثم إلى عهد الواثق، ثم إلى عهد المتوكل سنة ٢٣٢، فلما تولى المتوكل الخلافة لم يتحمس للقول بخلق القرآن، كما كان عليه أسلافه ، بل قد نهى عنه سنة ٢٢٤، وكتب بذلك إلى الآفاق، فانطفأت الفتنة التي أقلقت الدولة والناس . [٢]

والخلاف في هذه المسألة يرجع في الأصل إلى الاختلاف في المراد بالكلام، فمذهب المعتزلة الذين يقولون: الْكَلَام هُوَ مَا انتظم من الْحُرُوف المسموعة المتميزة المتواضع على اسْتِعْمَالهَا فِي الْمعَانِي[٣]، وقالو إن الإنسان احتاج إلى وضع طريق يعرف به غيره ما في قلبه من فنون الحاجات فاصطلحوا على جعل هذه الأصوات المقطعة بهذه التقطيعات المخصوصة معرفة لما في قلوبهم من الأحوال، أما الله ﷻ فإنه إذا أراد شيئا أو كره شيئا خلق هذه الأصوات المخصوصة في جسم من الأجسام لتدل هذه الأصوات على كونه تعالى مريدا لذلك الشيء المعين وهذا هو المراد من كونه تعالى متكلما، والمعتزلة لا يثبتون لله كلاما بحرف أو بصوت لئلا يثبتوا لله جسما[٤]. وهي غَايَةُ شُبْهَتِهِمْ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ التَّشْبِيهُ وَالتَّجْسِيمُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا قُلْنَا أَنَّهُ ﷻ يَتَكَلَّمُ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ انْتَفَتْ شُبْهَتُهُمْ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ ﷻ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ [يس:٦٥]. فَنَحْنُ نُؤْمِنُ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ، وَلَا نَعْلَمُ

١ – العبر في خبر من غبر، لشمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ج١ ص ٢٩٣، ٢٩٤، ت: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت .

٢ – مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة والمحدثين وكتب الجرح والتعديل ، لعبد الفتاح أبو غدة ص ٧، ط: دار القلم بيروت ، بدون .

٣ – المعتمد في أصول الفقه، لمحمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي (ت: ٤٣٦هـ) ج١ ص ١٠ ، ت: خليل الميس، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ،ط: الأولى، ١٤٠٣.

٤ – خلق القران بين المعتزلة وأهل السنة لفخر الدين الرازي ت ٦٠٦ هـ ص ٥٨، ت : أحمد حجازي السقا ، ط دار الجيل بيروت، ط: أولى ١٤١٣ –١٩٩٢ .

كَيْفَ تَتَكَلَّمُ، وَكَذَا قَوْلُهُ ﷻ:﴿ **وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [فُصِّلَتْ:٢١] . وَكَذَلِكَ تَسْبِيحُ الْحَصَا وَالطَّعَامِ، وَسَلَامُ الْحَجَرِ، كُلُّ ذَلِكَ بِلَا فَمٍ يَخْرُجُ مِنْهُ الصَّوْتُ الصاعد من لديه الْمُعْتَمِدُ عَلَى مَقَاطِعِ الْحُرُوفِ. (١)

وأما مذهب السلف والفقهاء والجمهور: الكلام عند الإطلاق لا يتناول إلا ما كان حديثا (٢). فمذهب السلف الذي قامت عليه الأدلة والبراهين أن كلام الله حرف وصوت وأن القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ، وَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كَلَامُ الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللَّهُ وَعَابَهُ وَأَوْعَدَهُ بسقر حيث قال ﷻ: ﴿**إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**﴾ [الْمُدَّثِّرِ:٢٥]، وفي هذا رد على مذهب المعتزلة الذين يرونه يبتدئ من الجماد، ومن أدلة أهل السنة ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**﴾ [الأعراف:١٤٣] ، ﴿**وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾ [مريم:٥٢] والمكالمة والنداء لا تكون إلا بصوت مسموع . (٣)

أدلة المعتزلة :

استدل المعتزلة بأدلة عدة منها، الدليل الأول: قوله ﷻ: ﴿**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [الأنبياء:٢] فقالوا: نقول إن القرآن محدث يفنى ويذهب كما تفنى سائر المحدثات. وهذا الكلام مردود بالآتي :

١- إنه لا يراد بالذكر هاهنا القرآن، لأن كل ذكر في القرآن أراد به القرآن فإنه معروف بالألف واللام أو ممدوح أو موصوف بأنه منزل ليفرق بينه وبين غيره بالذكر، فقال ﷻ: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:٩] وقال:

---

١ – شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٠ ، لابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ) ، ط: دار السلام ،ط: المصرية الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٢ – مسألة خلق القرآن، وموقف علماء القيروان منها، ودورهم في الذب عن مذهب السلف فيها ، أ. د / فهد الرومي ص ٣٥ بتصرف واختصار ، ط : مطبعة التوبة ١٤١٧ ، ط أولى ١٤١٧ –١٩٩٧ .

٣ – شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٨، مسألة خلق القرآن، وموقف علماء القيروان منها، لفهد الرومي ص ٣٩ بتصرف واختصار .

﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾، وقال: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:٥٨] ، وقال ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء:٥٠] ، فذكر الذكر في هذه الآية مُنَكَّراً إلا أنه مدحه بالبركة ووصفه بأنه منزل ليدل على أنه القرآن. وفي هذه الآية التي استدلوا بها ذكر منكر ولم يمدحه إلا وصفه بأنه منزل ليدل على أنه غير القرآن فيحمل على أحد معنيين: إما على النبي ﷺ لأن الله سماه ذكراً بقوله ﷻ: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ﴾، ويدل على هذا التأويل أنه قال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ﴾ فذكر أن الذكر يأتيهم، والذي يأتيهم بنفسه هو النبي ﷺ ، ويدل على هذا أن قريشاً كانوا إذا سمعوا القرآن قد سموا آراءهم فيه، ولم يقابلوه بالضحك واللعب. فدل على أن الذي ضحكوا منه ولعبوا هو ذكر غير القرآن .

٢- أن يقال: لو سمعنا أنه أراد بالذكر هاهنا القرآن لم يجب كونه مخلوقاً لوصفه بالمحدث لأن المحدث ضد القديم، وقد أخبر الله ﷻ عن بعض المخلوقات أنه قديم بقوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] ، فلما جاز في المخلوقات ما سمى قديماً كان في القديم ما يسمى محدثاً ولا يكون مخلوقاً.

٣- إن المحدث يقع في اللغة على الواضح الجلي، ولهذا تقول العرب: أحدث المرآة إذا جلاها .

٤- أن المحدث قد يراد به المظهر ولا يراد به المخلوق بدليل ما أخبر الله عن الخضر أنه قال لموسى عليه السلام : ﴿فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾ يعني أظهر وأبدي لا أخلق. (١)

-الدليل الثاني: قالوا: قد سمى الله القرآن أمراً بقوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق : ٥] ، وقال في آية أخرى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾

١ - الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ج ٢ ص ٥٧٥ : ٥٧٨ بتصرف واختصار، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير اليمني الشافعي (ت: ٥٥٨هـ)،ت: سعود بن عبد العزيز الخلف ، ط: أضواء السلف، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

[الأحزاب:٣٧] ، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾ [الأحزاب:٣٨]. والمفعول والمقدور عبارة عن المخلوق.

والجواب أنه لم يرد بالأمر هاهنا قوله، وإنما أراد به ما أحدثه الله في الأرض من الأمور، وهو نكاح النبي ﷺ لامرأة زيد بن حارثة، وعقوبته لأهل السبت من اليهود لأن العرب تسمي الشيء باسم سببه فلا مُكَوَنَ ولا مفعول إلا بأمر الله وهو قوله للشيء (كن فيكون)، والفعل يسمى أمراً. وهذا يدل على أن أمر الله الذي هو القول ليس بمخلوق قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم:٢٥] أي بقوله، فلو كان أمره يقوم بأمر غيره لأدى ذلك إلى ما لا يتناهى وذلك محال. (١)

-الدليل الثالث: قال ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [الزخرف:٣] والجعل عبارة عن الخلق لقوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾. والجواب: أن الجعل في القرآن يعبر به عن الخلق، ويعبر به عن التسمية وهو المراد هاهنا قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾ [الزخرف:١٩] أي سموهم، وذلك قوله ﷻ: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ [النحل: ٩١] وأراد به سموه كفيلاً. وقد قال الله ﷻ: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] ولم يرد ما خلقها، وإنما أراد ما سماها، فبطل أن يكون كل جعل في القرآن عبارة عن الخلق. (٢)

-الدليل الرابع: واستدلوا بقوله ﷻ: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرَّعْدِ: ١٦] والقرآن شيء فوجب أن يكون مخلوقاً . والجواب:

١- أن نقول: إن القرآن صفة لله ﷻ ، وقد سمى الله نفسه شيئاً بقوله ﷻ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، فلما لم تكن ذات الله ﷻ داخلة في جملة المخلوقات، لم يكن القرآن الذي هو صفة له داخلاً في المخلوقات.

٢- أن عُمُومُ كُلٍّ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِحَسَبِهِ، وَيُعَرَفُ ذَلِكَ بِالْقَرَائِنِ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ ﷻ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الْأَحْقَافِ:

١ - المرجع السابق ج ٢ ص ٥٧٩ .

٢ - المرجع السابق ج ٢ ص ٥٧٩ .

٢٥]، وَمَسَاكِنُهُمْ شَيْءٌ، وَلَمْ تَدْخُلْ فِي عُمُومِ كُلِّ شَيْءٍ دَمَّرَتْهُ الرِّيحُ؟ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ يَقْبَلُ التَّدْمِيرَ بِالرِّيحِ عَادَةً وَمَا يَسْتَحِقُّ التَّدْمِيرَ. وَكَذَا قَوْلُهُ ﷻ حِكَايَةً عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النَّمْلِ: ٢٣] ، الْمُرَادُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ، وَهَذَا الْقَيْدُ يُفْهَمُ مِنْ قَرَائِنِ الْكَلَامِ. إذن فالْمُرَادُ من قوله ﷻ: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، أَيْ كُلِّ شَيْءٍ مَخْلُوقٍ، وَكُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، فَدَخَلَ فِي هَذَا الْعُمُومِ أَفْعَالُ الْعِبَادِ حَتْمًا، وَلَمْ يَدْخُلْ فِي الْعُمُومِ الْخَالِقُ ﷻ، وَصِفَاتُهُ لَيْسَتْ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّهُ ﷻ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَصِفَاتُهُ مُلَازِمَةٌ لِذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، لَا يُتَصَوَّرُ انْفِصَالُ صِفَاتِهِ عَنْهُ . [١] ومن أراد مزيدا من الأدلة والرد إليها فليرجع إلى مظان ذلك من كتب العقيدة، لكن الأمر عند الحداثيين اختلف جملة وتفصيلا، وهو ما سنناقشه بعد .

المطلب الثالث :الحداثيون وخلق القرآن:

عظم الحداثيون قول المعتزلة بخلق القرآن، وباركوه كأنهم يعتقدون ذلك الاعتقاد أكثر من المعتزلة أنفسهم، ولذا نجد أركون يقعّد للقضية ويطيل نفسه فيها، يقول أركون:" المعتزلة عندما دافعوا عن مفهوم خلق القرآن كانوا قد أحسوا بالحاجة إلى دمج كلام الله في نسيج التاريخ، وإذا ما استعاد الفكر الإسلامي هذه الفكرة فإنه حينئذ سوف يمتلك الوسائل الكفيلة بمواجهة المشاكل التي تنثال على الفكر المعاصر من كل حدب وصوب بمصداقية أكبر وابتكارية أقوى وأعظم"[٢] كما نجده يريد إعادة الروح وبث الحياة فيما عفا عليه الزمن، وينسب أهل العلم والدين إلى الإقصاء، فيقول: لا أعرف فقيها معاصرا واحدا أو شيخا أو رجل دين يقبل بإعادة طرح مسألة القرآن ككلام مخلوق من قبل الله، لا أحد يقبل بمعالجة هذه المسألة الهامة على ضوء العلم الحديث والمنتجات اللغوية والتاريخية الحديثة، نقول ذلك على

١ – الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ج ٢ ص ٥٨٠ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٣، آراء المعتزلة الأصولية دراسة وتقويما ص ٩٧، د/ علي بن سعد بن صالح الضويحي ، مكتبة الرشد بالسعودية ، ط ، أولى ١٤١٥ –١٩٩٥ .

٢ – الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ٨٢ .

الرغم من أن المسلمين لطالما خاضوا فيها أثناء العصر الكلاسيكي، أثناء ازدهار العقلانية أيام المعتزلة، لكنها الآن ممنوعة ومحرم تماما، فكيف يمكن للتحرير أن يحصل في الساحة العربية أو الإسلامية؟ وبالتالي فإن إسلام الأصوليين والمحافظين اليوم أضعف وأضيق بكثير من إسلام العصر الكلاسيكي".[١] كل ذلك هدفهم منه ربط القرآن بالزمان والمكان، وهو ما سموه بالتاريخية،[٢] كما نراه يتحسر ويعلو عويله على ما حدث من إغلاق لهذه القضية فيقول: لقد بتر المسلمون أنفسهم وبتروا تراثهم وتاريخهم إذ منعوا منعا باتا نظرية المعتزلة عن القرآن المخلوق ونحن لا نزال ندفع حتى اليوم ثمن هذا البتر دما ودموعا. كما يقول أيضا: أنا لا أعارض الأصوليين بكلام مجلوب من الخارج ، فليكفوا إذن عن القول هذا استغراب، هذه تبعية للمناهج الغربية ...الخ ، أنا أعارض الأصوليين بما أجده داخل التراث الإسلامي ذاته، فليعد المسلمون إذن إلى تلك المناقشة الكبرى التي شغلت أسلافهم العظام في القرنين الثاني والثالث الهجري ليعودوا إليها وليعتبروا بها، لا يمكنك أنه تدحض كلام السلفيين المعاصرين بالنظريات الفلسفية الغربية، يمكنك أن تدحض بكلام الشق الثاني من التراث الإسلامي ذاته، هذا الشق الذي بتر وحذف منذ أكثر من عشرة قرون بحد السيف، وهذا البتر هو الذي أدى إلى انهيار العقلانية العربية، بعد أن كانت قد شهدت صعودا رائعا ومدهشا. [٣] وإذا كان الحداثيون قد تجمهروا على قضية القول بخلق القرآن عن بكرة أبيهم، فهذا محمد سعيد العشماوي يقول: رأي المعتزلة أن القرآن

---

١ – قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم ص :٢٢٢،لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح ، ط: دار الطليعة بيروت، بدون.

٢ – تاريخية القرآن: أنه عمل بشري أفرزته وقائع تاريخية بما يناسب زمان ومكان تلك الأحداث . التهوين من مسألة القول بخلق القرآن ومآلاته عند المعاصرين ص ٣، فوزي عبد الصمد فطاني، مركز سلف للبحوث والدراسات . وسيأتي مزيدا للحديث عن التاريخية ضمن ما ترتب على قولهم ببشرية القرآن الكريم في المبحث الثاني، المطلب الثاني .

٣ – قضايا في نقد العقل الديني ص ٢٧٩ بتصرف .

مخلوق، وكانوا يهدفون من ذلك إلى ربط آياته بالواقع وسيلانها مع التاريخ.[١] بل وفي المقابل نجد نصر أبو زيد يهون ويهين رأي أهل السنة ويصفه بالخرافة والأسطورة.[٢] ويرى أنه من غير العملي إهمال قول المعتزلة بحدوث القرآن لأن له أهمية تاريخية من حيث معنى القرآن ودلالته، ولا يعني هذا أن يكون القول الوحيد الذي يجب أن نتمسك به وإلا لوقعنا فيما وقع فيه أصحاب الفكر الديني من أحادية الاختيار. [٣] وهكذا تبدوا الاستنارة مرتبطة بالاعتزال والقول بخلق القرآن، أما من يرى عكس ذلك فهو ظلامي رجعي، ولأن هذه الظلامية الرجعية قد طمست أطروحة المعتزلة تحت ركام التاريخ وطبقاته السفلية. يقول محمد اركون: ينبغي أن نذكر هنا بنظرية المعتزلة عن القرآن المخلوق مأساتنا نحن المسلمين هي أن الأطروحة الثانية أي الأطروحة الحنبلية القائلة بأن القرآن غير مخلوق هي التي انتصرت وترسخت في التاريخ ، وحذفت مقولة المعتزلة التي لم تنتصر إلا لفترة قصيرة وفي الأوساط العقلانية المستنيرة أيام المأمون بشكل خاص.[٤]

لكن هناك فرق واجب البيان ألا وهو: أنه لابد من الإشارة هنا إلى أن المعتزلة حين قالوا بخلق القرآن لم يغير ذلك من نظرتهم إلى القرآن من أنه متربع على عرش القداسة وقمة العظمة، ولم يكن قولهم بخلق القرآن إلا مبالغة في تقديس الباري وتنزيهه، وتقديس كلامه، ولم تكن لديهم علاقة بين

---

١ – النص القرآني إشكالية البنية والقراءة، لطيب تيزيني ص ٣٦٤ .

٢ – النص السلطة ،الحقيقة ، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة ، د. نصر حامد أبو زيد ، ص ٩٣ ، ١١٤، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء المغرب ط: الأولى ١٩٩٥ .

٣ – نقد الخطاب الديني ٢٠٣ ، د/ نصر حامد أبو زيد ، ط : دار سينا بالقاهرة ، ط : الثانية ١٩٩٤ م .

٤ – قضايا في نقد العقل الديني لأركون ص ٢٧٨ .

القول بخلق القرآن وانخفاض نسبة القداسة المحفوظة للقرآن الكريم[١]. ويؤيد لك ما جاء وصفا لسلوكهم فقد جاء في طبقات المعتزلة:" سُئلت أخت عمرو بن عبيد وكانت زوجة واصل بن عطاء عن عمل واصل فقالت: كان واصل إذا جن ليله صف قدميه يصلي ولوح ودواة موضوعان فإذا مرت به آية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها ثم عاد يصلي . وسُئل ابن السماك عن عمرو بن عبيد فقال : كان عمرو إذا رأيته مقبلا توهمته جاء من دفن والديه، وإذا رأيته جالسا توهمته أجلس للقود ، وإذا رأيته متكلما توهمت أن الجنة والنار لم تخلقا إلا له ، وقال عنه الجاحظ بأنه كان يحيي الليل بركعة واحدة ويرجع آية واحدة . [٢]

١ – العلمانيون والقرآن الكريم " تاريخية النص " د/ أحمد ادريس الطعان ص ٤٣٩ بتصرف واختصار، كلية الشريعة بدمشق ، ط : دار ابن حزم بالسعودية ، ط: الأولى ١٤٢٨ –٢٠٠٧ .

٢ – طبقات المعتزلة ص ٣٢ ، ٣٦، أحمد بن يحيى بن المرتضى ، ت : مؤسسة ديفلز ، ط: الثانية بيروت ١٤٠٧ –١٩٨٧ .

المبحث الثاني

حجج الحداثيين على مقالتهم بخلق القرآن، وما ترتب عليها

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: أسباب وحجج الحداثيين في قولهم بخلق القرآن، وعدم قبولهم القول بأنه ليس مخلوقا.

المطلب الثاني : ما ترتب على قول الحداثيين إن القرآن مخلوق .

❁❁❁❁❁

المطلب الأول: أسباب وحجج الحداثيين في قولهم بخلق القرآن، وعدم قبولهم القول بأنه ليس مخلوقا :

أولا :على وجه الإجمال :

- أن القول بأن القرآن ليس مخلوقا فكرة متسربة عبر التراث المسيحي .

- وجود النسخ فيه، وأنه عملية ذاتية، وقد ترتب على ذلك :

- إعادة النظر في القول بحفظ القرآن وتأويل ما جاء بخصوص ذلك.

- إمكانية تعطيل الأحكام الشرعية أو بعضها على الأقل .

- أن القول بخلق القرآن هو الأقرب إلى تنزيه الذات الإلهية .

- أنه فعل إلهي وكل الأفعال الإلهية أفعال في العالم المخلوق المحدث .

- أن القول بأن القرآن ليس مخلوقا هي عملية سياسية، كان المقصود منها ضرب المعارضة في حينها وهم المعتزلة .

- أن القول بأن القرآن ليس مخلوقا فيه فصل للقرآن عن الواقع، وفي المقابل القول بخلقه هو إعادة لحيويته.

- أن نزوله مغاير لما في اللوح المحفوظ .

ثانيا : على وجه التفصيل :

- القول بأن القرآن ليس مخلوقا فكرة متسربة عبر التراث المسيحي:

ينص العشماوي على أن أزلية كلام الله ﷻ في الفكر الإسلامي أفكار نصرانية تسربت إلى فكر المسلمين، وبنص عبارته يقول: " في الإسلام: القرآن هو كلام الله الموحى به إلى النبي وفيه أن السيد المسيح هو كلمة الله ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾

[النساء:١٧١] ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥] وفي المسيحية : أن السيد المسيح هو كلمة الله ، حدث التداخل بين الفكر الإسلامي واللاهوت المسيحي، ففي هذا اللاهوت أن كلمة الله أزلية غير مخلوقة، وأن السيد المسيح مظهر (أقنوم) الجلالة والقدسية الذي لم يخلق ، وإنما وجد مع الله منذ الأزل والقول بأن الكلمة مخلوقة – في هذا اللاهوت – يعني أن الله ﷻ كان بغير كلمة حتى خلقها فكانت. أما الجسد الإنساني للسيد المسيح فهو الناسوت الذي تبدت به الكلمة للناس حتى يحقق لهم الخلاص. وعندما احتدم الجدل العقائدي بين علماء المسلمين وعلماء المسيحيين بدأت أفكار هؤلاء تنتقل إلى أولئك، وبذلك قال علماء المسلمين عن القرآن ما يقوله علماء اللاهوت المسيحي عن السيد المسيح، كلمة الله، ففي قولهم إن القرآن كلام الله الأزلي، وجد منذ البدء وأن حروفه وألفاظه هي التي خلقت فيما بعد عندما تنزلت على النبي، ومفاد ذلك أن القرآن بجميع آياته خلق منذ الأزل وأن الرسالة المحمدية كانت مناسبة ليتنزل فيها على النبي آية آية " [١] وبمثل ما قال العشماوي قال نصر أبو زيد :" والمقارنة بين القرآن وبين السيد المسيح من حيث طبيعة نزول الأول وطبيعة ميلاد الثاني تكشف عن أوجه التشابه بين البنية الدينية لكل منهما داخل البناء العقائدي للإسلام نفسه ولعلنا لا نكون مغالين إذا قلنا إنهما لستا بنيتين بل بنية واحدة رغم اختلاف العناصر المكونة لكل منهما. فالقرآن كلام الله وكذلك عيسى "رسول الله وكلمته" وقد كانت البشارة لمريم" **إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾ وإذا كان القرآن ألقي إلى محمد فإن عيسى بن مريم بالمثل ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] أي أن محمد = مريم والوسيط في الحالتين وهو جبريل الذي ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] وكان يتمثل لمحمد في صورة أعرابي، وفي الحالين يمكن أن يقال إن كلام الله قد تجسد في شكل ملموس في كلتا الديانتين، تجسد في المسيحية في مخلوق بشري هو المسيح، وتجسد في الإسلام نصا لغويا في

١ – أصول الشريعة لمحمد سيد لعشماوي ص ٦٤ ، ٦٥ ، ط : دار اقرأ ، بيروت ،ط : الثانية ١٤٠٣– ١٩٨٣ .

لغة بشرية هي اللغة العربية، وفي كلتا الحالتين صار الإلهي بشريا، والنص الإلهي واللغة العربية في الوحي الإسلامي تمثل الوسيط الذي تحقق فيه وبه التحول، ويتمثل اللحم والدم – مريم – الوسيط الذي تحقق فيه وبه في المسيحية، وإذا كان الفكر الديني الإسلامي ينكر على الفكر الديني المسيحي توهم طبيعة مزدوجة للمسيح ويصر على طبيعته البشرية فإن الإصرار على الطبيعة المزدوجة للنص المقدس وللنصوص الدينية بوجه عام يعد وقوعا في التوهم نفسه. وإذا كان التوهم قد أدى إلى عبادة الإنسان في العقائد المسيحية، فإنه قد أدى في العقائد الإسلامية إلى القول بقدم القرآن وأزليته بوصفه صفة قديمة من صفات الذات الإلهية، في الحالتين يتم تغريب الإنسان لا لحساب الإلهي والمطلق ولكن لحساب الأيديولوجيا التي يتم إحلالها محل المطلق والإلهي ." [1]

من تحليل الكلام [2]:

المتشابهان هما	القرآن	عيسى عليه السلام
وجه وجه الشبه	كلام الله عز وجل	كلمة الله عز وجل
الوسيط	محمد ﷺ	مريم (عليها السلام)
النتيجة	تجسد الإلهي في صورة بشرية ، واعتبر ذلك هو النتيجة المنطقية التي غفل عنها المسلمون واهتدى هو إليها، وأن القول بغيرها تناقض	تجسد الإلهي في صورة بشرية ، وادعى أن ذلك هو عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام

١ – نقد الخطاب الديني ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، د/ نصر حامد أبو زيد ، ط : دار سينا بالقاهرة ، ط : الثانية ١٩٩٤ م .

٢ – التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد ص ٢٧٧ : ٢٣٠ بتصرف واختصار، تأليف منى محمد بهي الدين الشافعي ، ط : الأولى ١٤٢٩ ، ط: دار اليسر بالقاهرة .

– ادعى أن عدم الأخذ برأيه (بشرية القرآن) أدت إلى عبودية النصوص القرآنية، كما أدت العقيدة نفسها إلى عبودية النصارى لعيسى عليه السلام.

– قوله:" وإذا كان الفكر الديني الإسلامي ينكر على الفكر الديني المسحي توهم طبيعة مزدوجة للمسيح عليه السلام " يريد أن يقول إن الفكر الصحيح البعيد عن الوهم هو اعتقاد طبيعة واحدة وهي بشرية النص القرآني .

الرد على ذلك:

أولا : وجه الشبه الذي أقامه غير موجود، وهذا يجعل المقارنة منقوضة من أصلها، فكون القرآن كلام الله هذا شيء يعتقده كل مسلم وأنه ﷻ ما زال متكلما كيف شاء وبما شاء، وأن هذا الكلام صفة من صفات الله ﷻ وصفات الله لا تتجسد ولا تحل في شيء ولا تتحيز في مكان. وقوله "تتجسد في اللغة العربية" هو نفسه قول الجهمية لفظيا بأن القرآن مخلوق .

ثانيا: وصف الكاتب لعيسى عليه السلام بأنه كلمة الله كما أن القرآن كلمة الله تلبيس وإيهام وكلام حق يراد به باطل ؛ وذلك لأن قوله بأن عيسى عليه السلام (كلمة الله) حق لا مرية فيه كما جاء في القرآن الكريم ولكن ادعاؤه أن ذلك المعنى مماثل لمعنى قولنا أن القرآن كلام الله باطل .

– لأنه لو قلنا بذلك لكان عيسى عليه السلام صفة من صفات الله ﷻ تجسدت في صورة بشر وهذا عين كلام النصارى الذين كفروا ولعنوا من أجله ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ**﴾ [المائدة: ٧٥] ، ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الزخرف: ٥٩] فقد وصفه الله بأنه بشر يأكل الطعام ووصفه بأنه عبد ونفى عنه في آيات كثيرة أي صفة من صفات الملائكية أو الألوهية، وأثبت له البشرية الخالصة مثل آدم ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [آل عمران: ٥٩].

ثالثا : التفسير الصحيح لتسمية عيسى عليه السلام بأنه كلمة الله أنه خلق بكلمة من الله وهي كن كما حدث لآدم، ولم يخلق بالناموس الذي جعله الله لتناسل بني آدم وهي نطفة الرجل والمرأة، وسماه كلمته لأنه كان عن كلمته، وقد ذهب إلى ذلك قتادة كما أخرجه الطبري، أو أن كلمة هنا يقصد بها جنس الكلام أي

البشارة أو الرسالة مستدلين باللغة؛ حيث إن الكلمة إخبار بما يسر من خبر، وهو ما قاله الطبري ورجحه. [١]

– فالقول بأن كلمة الله في عيسى عليه السلام هي صفة إلهية تجسدت في مخلوق بشري هو عين كلام النصارى الذين استحقوا عليه اللعن والطرد والوصف بالكفر في آيات كثيرة من القرآن الكريم .

فكلمة الله على القول الراجح إنها من البشارة، فلا استدلال له فيها . وعلى القول الثاني هي الكلمة التي خلق بها آدم وعيسى عليهم السلام والسماوات والأرض، فلا قائل إن السموات والأرض قد تجسد فيها الأقنوم الإلهي ولا قائل بذلك في آدم عليه السلام ولا غيره من المخلوقات، وبذلك يثبت أن استناده لذلك الدليل لا وجه له، فهو فاسد في الاعتبار .

– وجود النسخ في القرآن الكريم، وأنه عملية ذاتية من النبي :

من الأمور التي توصّل إليها طيب تيزيني أيضًا في دراسته للقرآن الكريم قوله إنَّ نسخ الآيات والسّور يتمّ بإرادة النّبي ﷺ دون أمر من الله ﷻ بل من تلقاء نفسه؛ يقول " وهنالك حالة بالغة الرّفاهة والخصوصية بالنسبة إلى تصوّر الوحي وعلاقة الرّسول به، إنّها الحالة التي تتمثّل في أنّ النّسخ لسورة ما يتمّ ضمن عالمه الذاتي الدّاخلي، دونما تدخّل مباشر من خارج، وقد يكمن وراء ذلك أنّ الرّسول الدّاعية والفاعل اجتماعيًا يتبيّن بإحالة من وحيه أنّ سورة ما جاءته من هذا الأخير لا تستجيب لاحتياجات البشر المقدّمة إليهم فتلغى وتُنسخ ضمنا "[٢] .

وقد ترتب على ذلك:

١– إعادة النظر في القول بحفظ القرآن وتأويل ما جاء بخصوص ذلك .

ربط طيب تيزيني بين قضيتي النسخ والمحكم والمتشابه ومن ثَمَّ دعا إلى إعادة النّظرفي قوله ﷻ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾الحجر الآية ٩]؛

---

١ – جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ج ٦ ص ٤١١ ، ٤١٢ ، ت: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ..

٢ – النصّ القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

لأنَّ مفهوم الحفظ لا يتناسب مع ظاهرة النّسخ حسب زعمه؛ يقول: فإذا كان هنالك بإقرار من النصّ ذاته ومن ثمَّ من الفكر الإسلامي مشكلة محدّدة الملامح هي تلك المسألة(النّاسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه) أفلا يفضي ذلك إلى طرح فكرة﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ كما هي شائعة في مفهومها المباشر على بساط البحث؟ وعلى هذا يغدو السّؤال المركّب التّالي ضروريًا :إذا كان النّسخ قد حدث فعلاً بما فيه من تبديل الآيات وإلغاء الأخرى، فكيف يمكن القول بنصّ ثابت وأزلي يعيش فوق الأحداث والوقائع وله وجوده الأزلي في اللّوح المحفوظ؟ ثمّ إذا كان هنالك إقرار بالنّسخ فالذي بقي في المصحف العثماني المكتوب المحكم أم المتشابه "[1] كما نجد حسن حنفي يدعو إلى تطبيق المنهج التّاريخي على نصوص القرآن الكريم، وهو ما أوقعه في القول بأنّ الله ﷻ لم يتكفّل بحفظ كتابه العظيم؛ وهو ما ذكره في تعليقه على كتاب "رسالة في اللاهوت والسّياسة" لإسبينوزا الذي قام بترجمته والتّعليق عليه، يقول: يغالي البعض وأكثرهم من اللاهوتيين المحافظين الذين يدعون أنّ الله قد حفظ كتابه من التّغيير والتّبديل وأنّ العناية الإلهية هي الحافظة للنّصوص، ومن ثمَّ فلا داعي هناك لتطبيق قواعد المنهج التّاريخي على النّصوص الدّينية وإقامة نقد تاريخي للكتب المقدّسة، ف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾، هي نظرية لاهوتية صرفة تهرب من النّقد وتلجأ للسّلطة الإلهية وهي شبيهة بالصّدق الإلهي عند ديكارت فيا يتعلّق بالمعرفة الإنسانية، وقد يكون معنى الآية هو حفظ المعنى وتطبيقه في الواقع، لا حفظ النصّ الحرفي المدوّن، فذلك ما يعتبر به التّغيير والتّحريف والتّبديل، وهذا ما يتّهم به القرآن أهل الكتاب، ويؤيّده النّقد التّاريخي للكتب المقدّسة".[2]

٢- إمكانية تعطيل الأحكام الشرعية أو بعضها على الأقل:

يقول طيب تيزيني: لقد جرى تعليق مجموعة من الأحكام والقواعد القرآنية على مدى قرون طويلة، كانت بداياته الأولى(أي التّعليق) قد تمثّلت بصيغة

١ – المرجع السابق ص٢٥٤.

٢ – رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٢٢ ، لباروخ سبينوزا ، ترجمة حسن حنفي ، مراجعة فؤاد زكريا ، دار التنوير بيروت ، ط: ٢٠٠٥ .

(النّاسخ والمنسوخ)حين تبينّ لمحمّد الرّسول أنَّ آيات معيّنة أصبحت دون إمكانية الاستجابة لواقع الحال المشخّص المعني في حينه، وقد اكتسب هذا الأمر طابعًا قرآنيًا، أي مقرًا به حكماً، والسؤال الآن يفصح عن نفسه على النّحو التّالي: إذا كان النّبي نفسه قد ارتأى عبر الوحي ضرورة إعادة النظر في آيات معيّنة، فلِمَ لا يصحّ ذلك على أيدي النّاس المؤمنين الخاضعين للتّغير الاجتماعي مدًّا وجزرًا، وكذلك– وهنا الدّلالة البليغة –الذين جاء النصّ من أجلهم(للنّاس كافّة)؟ لقد أُوقف زواج المتعة وحكم المؤلّفة قلوبهم والرقّ ممَّا عنى ويعني أنَّ الوضعية الاجتماعية المشخّصة هي التي تمثّل الأمر الذي يُحتكم إليه في ذلك، وإن تمّ على نحوٍ خفيّ أو على سبيل المداورة". [١] وفي هذا دعوة صريحة من طيب تيزيني إلى إعادة قراءة النصّ القرآني وتأويله وفق ما يتماشى مع العصر وإن اقتضى الأمر تعطيل بعض الآيات وبعض الأحكام وفق ما يقتضيه الوضع الاجتماعي.

– أن القول بخلق القرآن هو الأقرب إلى تنزيه الذات الإلهية:

نص حسن حنفي أنَّ القول بخلق القرآن هو نوع من التّنزيه لله ﷻ حيث قال :" والحقيقة أنَّ القول بالخلق أو الحدوث أكثر إطلاقًا لعواطف التّنزيه؛ إذ كيف يكون الكلام بالصّوت والحرف المسموع المرئي صفة تعبرّ عن التّنزيه وهي لا تخلو من حسّ وتشبيه؟ كيف يكون القديم حسّيًا؟ إنّ القول بالخلق والحدوث هو في الوقت نفسه تنزيه للذات، وأكثر اقترابًا من الكلام كموضوع حسّي علمي يمكن دراسته في علم الصّوت أو في علوم اللّغة"[٢] .

أقول: قد تم الرد على ذلك في المبحث الأول، المطلب الثاني من أن حجة المعتزلة أنهم لا يثبتون لله كلاما بحرف أو بصوت لئلا يثبتوا لله جسما، وهي غَايَةُ شُبْهَتِهِمْ ؛ فَيُقَالُ لَهُمْ: إِذَا قُلْنَا أَنَّهُ ﷻ يَتَكَلَّمُ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ انْتَفَتْ شُبْهَتُهُمْ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ ﷻ قَالَ:﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ**﴾ [يس: ٦٥]. فَنَحْنُ نُؤْمِنُ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ، وَلَا نَعْلَمُ كَيْفَ تَتَكَلَّمُ، وَكَذَا قَوْلُهُ

---

١ – النصّ القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة ص ٣٦٣ .

٢ – من العقيدة الى الثورة" الإنسان الكامل " ج٢ ص ٤٥٣ ، ٤٥٤، المركز الثقافي العربي، ط: الأولى ١٩٩٨ .

ﷻ: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فُصِّلَتْ:٢١] . وَكَذَلِكَ تَسْبِيحُ الْحَصَا وَالطَّعَامِ، كُلُّ ذَلِكَ بِلَا فَمٍ يَخْرُجُ مِنْهُ الصَّوْتُ الصاعد من لديه الْمُعْتَمِدُ عَلَى مَقَاطِعِ الْحُرُوفِ. (١)

– أنه فعل إلهي وكل الأفعال الإلهية أفعال في العالم المخلوق المحدث:

يتبع نصر أبو زيد ما يرى المعتزلة من أن الكلام من أفعال الله، وأفعاله ليست أزلية، حيث يقول: القدرة الإلهية مطلقة لا حدود لها لأنها صفة متعلقة بذات الباري ﷻ فهي صفة أزلية قديمة، أما الفعل فهو التحقق العيني للقدرة، وعليه فالقدرة غير متناهية لتعلقها بالله ولكن الأفعال الإلهية تتناهى لتعلقها بالعالم الممكن فهي ليست أزلية، بل هي تاريخية متعلقة بالعالم المحدث الذي خلقه الله، وإذا كان الكلام الإلهي في تحققه يعد فعلا ، فكيف يكون القرآن الكريم وهو واحد من تجليات الكلام الإلهي قديما أزليا. (٢)

أقول: يجعل الحداثيون صفة الكلام النفسي من صفات الفعل وذلك أنها تستلزم وجود مخاطب يتوجه إليه المتكلم بالكلام، فلو وصفنا الله ﷻ بأنه متكلم منذ الأزل أي كلامه قديم لكان معنى ذلك أنه كان يتكلم دون مخاطب؛ لأن العالم كان ما يزال في العدم وهذا ينافي الحكمة الإلهية، بخلاف صفات الذات فهي لا تحتاج لوجود العالم كالعلم والقدرة والحياة. أقول: طبقا لذلك ألا يحتاج العلم إلى معلوم، والقدرة إلى مقدور مثلما يحتاج الكلام إلى مخاطب، إن ما ذهب إليه الأشعرية خروجا من ذلك كله هو الحل الأمثل وذلك أن صفات العلم والكلام والقدرة صفات قائمة بذاته ﷻ بغض النظر عن متعلقاتها، وإذا لم يكن بد من الاستدلال بالشاهد لتقريب الصورة للبشر – تعالى الله وتقدس – فالإنسان يملك القدرة على الكلام ويملك العلم والقدرة ولا يمارس هذه الملكات؛ فعدم خروجها لا يعني أنها غير موجودة، ثم لماذا يغض الحداثيون النظر عن إشكالية التسلسل التي تواجه المعتزلة، يقول القاضي الباقلاني: وَالَّذِي يدل على نفي خلق الْقُرْآن من الْقُرْآن قَوْلهﷻ ﴿ **إِنَّمَا**

---

١ – خلق القران بين المعتزلة وأهل السنة لفخر الدين الرازي ت ٦٠٦ هـ ص ٥٨ ، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ١٧٠ .

٢ – النص، السلطة، الحقيقة ص٧٠، ٧٢ بتصرف واختصار.

قَوْلنَا لشَيْء إِذا أردناه أَن نقُول لَهُ كن فَيكون﴾ [النحل:٤٠] فَلَو كَانَ الْقُرْآن مخلوقا لَكَانَ مخلوقا بقول آخر، وَذَلِكَ يُوجب أَن لَا يُوجد من الله ﷻ فعل أصلا إِذا كَانَ لَا بُد أَن يُوجد قبله أَفعَال هِيَ أقاويل لَا غَايَة لَهَا، وَذَلِكَ محَال بِاتِّفَاق منا وَمِنْهُم . [١]

– **القول بأن القرآن ليس مخلوقا هي عملية سياسية، كان المقصود منها ضرب المعارضة في حينها وهم المعتزلة:** يذهب الحداثيون إلى أنَّ مسألة خلق القرآن مسألة سياسية لا أكثر ولا أقلّ، أرادت منها السّلطة العبّاسية آنذاك قهر المعتزلة باعتبارها معارضة للنّظام، وصرفها من خلالها عن المسائل العملية، حتّى يسهل تشويه المعارضة أمام العامّة المؤمنة بعقيدة أهل السنّة، يقول حسن حنفي: وقد تكون المسألة كلّها سيّاسية في نشأتها، فقد أرادت السّلطة إيقاع المعارضة في حبائل الموضوعات النّظرية الصّرفة إبعادًا منها لها عن المسائل العملية، فساهمت في إثارة مسألة خلق القرآن حتّى يسهل حصار المعارضة وتشويه صورتها أمام العامّة المؤمنة بعقائد أهل السنّة والمطيعة للنّظام، فاستعمل الموضوع النّظري كسلاح عملي للتّكفير وللمحاصرة ولعزل المعارضة عن جماهيرها وإعطاء السّلطة الحقّ في اضطهادها واستئصالها والقضاء عليها باسم الدّفاع عن الإيمان والمحافظة على عقائد الأمّة "[٢] . يقول نصر أبو زيد: من أخطر تلك الأفكار الراسخة والمهيمنة، حتى صارت بسبب قدمها ورسوخها جزءا من العقيدة فكرة أن القرآن الكريم الذي أنزل به الوحي الأمين على محمد من عند الله نص قديم أزلي وهو صفة من صفات الذات الإلهية، ولأن الذات الإلهية أزلية لا أول لها، فكذلك صفاتها وكل ما يصدر عنها، والقرآن كلام الله فهو صفة من صفاته الأزلية القديمة، أي أنه قديم، وكل من يقول إنه محدث وليس قديما أو

---

١ – تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل ص ٢٦٨، لأبي بكر الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ)،ت: عماد الدين أحمد حيدر، ط: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان ،ط: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م،العلمانيون والقرآن الكريم " تاريخية النص" د/ أحمد ادريس الطعان ص ٤٤١ : ٤٤٥ بتصرف واختصار.

٢ – من العقيدة الى الثورة ج٢ ص ٤٦٤ .

أنه مخلوق لم يكن ثم كان أي حدث في العالم، فقد خالف العقيدة واستحق صفة الكفر، فإن كان من يقول ذلك مسلم فالحكم عليه أنه مرتد ؛ لأن قدم القرآن ،أي عدم خلقه وحدوثه من مفردات العقيدة التي لا يكتمل إيمان المسلم إلا بالتسليم بها ، والحقيقة أن مسألة طبيعة القرآن هل هو قديم أم محدث مسألة خلافية قديمة بين المفكرين المسلمين ، وقد ذهب المعتزلة مثلا إلى أن القرآن محدث مخلوق لأنه ليس صفة ذات وإنما صفة فعل، هنا يجب أن نلتفت إلى أن سيادة الأفكار وهيمنها تم وما زال يتم بأدوات القمع والقهر السلطوي، إذن ليس مفهوم أزلية القرآن جزءا من العقيدة. [١] فهو ينص على أن تأثير السلطة وقوة هيمنة الجناح القائل بهذا القول هو الذي أكسبه النفوذ والبقاء، بل وأكسبه القدسية وجعله جزءا من مسائل العقيدة وبالتالي فإن هذا التصور الذي يطرحه المعتزلة هو الأكثر ملائمة لروح العقيدة. [٢] كما يقول في كتابه الخطاب والتأويل : "الناس لا يعلمون أن قضية خلق القرآن حسمتها السلطة السياسية لا الحوار الفكري الحر، وأن هؤلاء الذين يرددون كالببغاوات أن أزلية النص من المعلوم من الدين بالضرورة، وأنها من حقائق العقيدة المنزلة لا يعلمون أنهم يقررون بذلك قرار سلطة سياسية غاشمة". [٣] كما يقول أيضا: لم ينهزم المعتزلة بسبب فساد فكرتهم، ومخالفتها للكتاب والسنة وإجماع الأمة على رفضها، وإنما بسبب ممارسة المعتزلة أنفسهم للقمع والقسر في فرض رأيهم، مما أكسب ابن حنبل تعاطف جماهير المسلمين ضد عسف المأمون والمعتزلة. [٤]

ومما يعد ردًّا على ذلك ما ذكره صاحب كتاب التفسير السياسي للقضايا العقدية حيث يقول تحت عنوان : حقيقة منطلق أهل السنة والمعتزلة في خلق

---

١ – النص، السلطة ، الحقيقة ص ٦٧ ، ٦٨ .

٢ – المرجع السابق ص ٦٨ ،٦٩ بتصرف واختصار .

٣ – الخطاب والتأويل لنصر حامد أبو زيد ص ٢٣٣ بتصرف واختصار، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء بالمغرب ، ط : الثالثة ٢٠٠٨.

٤ – مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ص ٦٩ ، د. نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء المغرب ط: الأولى ٢٠١٤ .

القرآن: الأدلة الواقعية والمعرفية تدل على أنَّ قول المعتزلة بخلق القرآن، وقول أهل السنّة بأن القرآن كلام الله ﷻ غير مخلوق " لم يكن من أجل أغراض سيّاسية البتّة، وأنّهم إنمَا قالوا بما قالوا لأنّهم كانوا يعتقدون أنّه موافق للشريعة، فأساس منطلقهم ومنتهى أملهم هو أن يصفوا الله ﷻ بما يليق وينزهوه عن كل نقص، ولم يرد ولا في موطن واحد من أيّ من الطرفين أيّة إشارة للغرض السّياسي في هذه القضية، فهل يعقل أن تكون الأطراف المختلفة في القضية أجهل بملابساتها ممّن جاء بعدهم بقرون، ومما يؤكد ذلك استمرار كل فريق على قوله ولم يتخل عنه مع تغير نمط السياسة واختلافها في تعاملها معهم، فلو كان الغرض سياسيا لاختلف قول الأطراف المتنازعة في القضية، حتى ولو بعضهم على الأقل، أما أنه ولم يحصل شيء من ذلك فإنه دليل على أنه لا تعلق لها بالأغراض السياسية أصلا ".[1]

– **أن القول بأن القرآن ليس مخلوقا فيه فصل للقرآن عن الواقع، وفي المقابل القول بخلقه هو إعادة لحيويته:** نص الحداثيون على أن القول بأزلية النص القرآني سيؤدي إلى فصل القرآن الكريم عن الواقع، فتصبح نصوصه جامدة لا يمكن للأزمنة والأمكنة المختلفة أن تأخذ منه ما تريد : فهذا محمد سعيد العشماوي يقول: رأى المعتزلة أن القرآن مخلوق، وكانوا يهدفون من ذلك إلى ربط آياته بالواقع وسيلانها مع التاريخ، وعارضهم في ذلك السلفيون بزعامة أحمد بن حنبل، فقالوا : القرآن أزلي غير مخلوق، وهو قول يعني فصل القرآن عن الواقع وفصمه من التاريخ.[2] بل يؤكّد طيب تيزيني على ضرورة إعادة قراءة النصّ القرآني وفق ما تقتضيه الأحداث الرّاهنة لا وفق ما وقع في زمن النّبوة؛ يقول: "ومن هنا كانت الأهمية الملفتة لمحاولة التّيار الإعتزالي في ذلك المجتمع النّظر في الكلام(النصّ) القرآني

---

١ – التفسير السياسي للقضايا العقدية في الفكر العربي المعاصر ، سلطان بن عبد الرحمن العميري ، مركز التأصيل للدراسات والبحوث بالسعودية ، ط: أولى ١٤٣١– ٢١٠ ،ص ١٣١ ، ١٣٢ بتصرف.

٢ – النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة لطيب تيزيني ص٣٦٤، ط : دار الينابيع بدمشق ١٩٩٧ م، نقلا عن تحديث العقل الإسلامي ص ٧

على أنّه مخلوق؛ ذلك لأنّ مثل هذا النّظر يتيح للباحث والفقيه والمؤمن العادي جميعًا وكلّ من موقعه وفي ضوء إملاءاته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها أن يتصرّفوا بالكلام المذكور بمثابة بنية تاريخية مفتوحة تخضع لاتّجاهات التّغير والتّبدل التي تطرأ على تلك الوضعيات الاجتماعية المشخّصة"[١] ويقول نصر أبو زيد " القرآن حادث مخلوق ارتبط إيجاده وإنزاله بحاجة البشر وتحقيقا لمصلحتهم"، كما يقول أيضا: "وإذا كان معنى قدم القرآن وأزلية الوحي يجمد النصوص ويثبت المعنى الديني، فإن معنى حدوث القرآن وتاريخية الوحي هو الذي يعيد للنصوص حيويتها ويطلق المعنى الديني بالفهم والتأويل من سجن اللحظة التاريخية إلى آفاق الالتحام بهموم الجماعة البشرية في حركتها التاريخية "[٢] كما يفترض نصر أبو زيد أن إثبات إلهية القرآن يمنعنا من تفسيره وفهمه، وكون النص القرآني غير مستغلق على الأفهام يعود في نظره لعدم إضفاء الإلهية عليه، وبالتالي يمكننا أن نتعامل معه كأي نص آخر، أما إن كان إلهيا فهذا يستلزم ألا يمكننا التعامل معه إلا وفق مناهج غير بشرية، وذلك بسبب طبيعته الإلهية حينها لن يفك شفرة النص المقدس إلا أشخاص وهبهم الله هذه الميزة. [٣] أقول: كيف وكل يأخذ ما يخصه ؟

إن المتأمل في النصوص السابقة يجد مجازفات خطيرة وعجيبة عارية عن البرهنة أو الاستدلال، لأن الاعتقاد بقدم القرآن لم يؤد إلى عزل النص عن الواقع، ولم يحول النصوص إلى شفرة إلهية عصية عن الفهم، بل ظلت المذاهب الإسلامية تتجاذب النص وتستند إليه كمرجعية تشريعية أو استدلالية أو برهانية ، وتنهل منه في كل العصور والأزمنة والأمكنة حلولا لأزماتها، وتقويما لمشكلاتها، وحكما في خلافاتها، ولم ينفصل القرآن عن المجتمعات الإسلامية حتى في العصر الحاضر رغم المنافسة العلمانية المدعومة بقوة

١ – النصّ القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة ص٢٩٨ ، ٢٩٩ .

٢ – نقد الخطاب الديني ٢٠٢ .

٣ – نقد الخطاب الديني ٢٠٩ ، مفهوم النص ٤٢ ، ٤٣ ، نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التراث ص ٣٠٣.

مادية متفوقة لإزاحة القرآن عن الواقع، وتحييده عن الحياة ، ولم يؤد هذا إلا إلى مزيد من القناعة بحاكمية القرآن للواقع وضرورة قيادته وهيمنته على الحياة . [١]

– **أن نزوله مغاير لما في اللوح المحفوظ:** يقول طيب تيزيني: إذا كان القرآن قد أنزل على النّبي آية آية محقّقًا بذلك عملية التّطابق الضرورية بينه وبين الواقع البشري الموجّه إليه، فكيف يمكن تحقيق المواءمة بين ذلك وبين كون القرآن أنزل جملة واحدة إلى سماء الدّنيا، أي على نحو مغاير للنّزول المنجّم؟ لعلّ هذا التّساؤل يحيلنا ثانية إلى مسألة العلاقة بين القرآن واللّوح المحفوظ، ووجه العودة هنا يقوم على أنّ هذه العلاقة ذات بعد تابعي، يكون القرآن بمقتضاها تابعًا للّوح المحفوظ، وعلى هذا يغدو القرآن مخلوقًا غير أزلي، أي قائمًا على كونه ذا مصدر بشري محمّدي "[٢]

أقول: إن الحديث عن اللوح المحفوظ، وكيفية وجود القرآن فيه لا يكون إلا من خلال النصوص، أما جنوحهم وأخذهم من ذلك أنه يكون نتيجة له القول ببشرية القرآن فهو ما سيتم الرد عليه بقوة إن شاء الله ﷻ.

المطلب الثاني : ما ترتب على قول الحداثيين إن القرآن مخلوق .

أولا : إجمالا :

– تسلل الحداثيون من قولهم بخلق القرآن إلى جعله مطية لهم حتى يصلوا إلى مبتغاهم من القول بأن القرآن تجربة بشرية، واستدلوا بما في القرآن– حسب زعمهم – من تداخل لكلام البشر مع كلام الله ﷻ ، فهو في الأصل رسالة وليست صفة لله ، وقد ترتب على قولهم ببشرية القرآن:

– أن القرآن منتج ثقافي، ولا وجود للوحي، بل ولا حاجة إليه:

– أن مهمته تربوية فقط، لا شأن لها بالعقيدة.

– القول بتاريخية القرآن الكريم .

– لا سلطان إلا للواقع .

---

١ – العلمانيون والقرآن الكريم " تاريخية النص " د/ أحمد ادريس الطعان ص ٤٤٥ .

٢ – النصّ القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة ص٢٩٨ ، ٢٩٩.

ثانيا: ما ترتب على قولهم – حسب رؤيتهم – بأن القرآن مخلوق تفصيلا:

– تسللهم من خلال القول بخلق القرآن إلى جعله مطية لهم حتى يصلوا إلى مبتغاهم من القول بأن القرآن تجربة بشرية:

مما سبق نجد كل نصوصهم الواردة في كتبهم تكاد تدور حول ذلك تصريحا وتضمينا، ودليلهم على ذلك:

– ما في القرآن– حسب زعمهم – من تداخل لكلام البشر مع كلام الله ﷻ، فهو في الأصل رسالة وليست صفة لله ﷻ: يذكر حسن حنفي أن كلام الله وكلام البشر نقيضان، هذا وحي يوحى وذاك صنع بشري، والحقيقة غير ذلك، فقد تداخل كلام الله وكلام البشر في أصل الوحي في القرآن، الوحي هنا يقوم بعملية التّطوير والتّجديد والتّغير، أحكامًا لكلام البشر واستجابة له، وهو استجابة لما يتحدّث به البشر، فالبشر يتكلّمون ويتحدّثون والله ﷻ يستجيب لهم بعد ذلك بالوحي، وبناءً عليه فإنّ الواقع هو الأصل والأساس وله الأولوية على النصّ. [1] كما يقول أيضا: والحقيقة أنّ الكلام هو الوحي الذي بين أيدينا المتّجه من الله إلى الإنسان وإلى العالم، الكلام قصد من الله إلى الإنسان ورسالة من مُرسِل إلى مُرسَلٍ إليه عن طريق المبلّغ وهو الرّسول، فهو ليس صفة للذات المشخّصة أي قصدًا من الإنسان إلى الله تعظيماً وإجلالاً وتأليهًا، الوحي إذن كلام الله بلغة الإنسان، وبهذا يكون الكلام مخلوقًا أي إنَّه أرسل إلى الإنسان، هذا هو الخلق الطبيعي أو الإنساني، عندما يتحوّل كلام الله إلى الإنسان وإلى الطبيعة مثله مثل حكمة البشر، التي تخلّد الجماعات والشعوب من خلالها في مأثوراتها وحكمها وأمثالها وقصص وسيرة أبطالها".[2]

ومعنى كلامهم ذلك أن اللفظ من عند النبي ﷺ، وأن الوحي مجرد رسالة بمعان محددة يصوغها الرسول، وإن كان الأمر في مجمله خطرا إلا أنه

---

١ – هموم الفكر والوطن لحسن حنفي ص ٢٣، ط: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٧، الدراسات الحداثية للقرآن الكريم من دعاوى التجديد إلى إثارة الشبهات ص ٥٩، لسعيد عبيدي .

٢ – من العقيدة الى الثورة ج٢ ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

سيأتي الأخطر منه وهو إنكار الوحي كلية، فهو كما نرى مجرد تدرج في البلوى، أما الرد عليه بخصوص النزول بالمعنى فهو كالآتي :

الرد على قولهم أن القرآن مخلوق وحجتهم أن ألفاظه من عند النبي ﷺ :

أولا : الرد النقلي: جاء في القرآن الكريم نفسه نفي وهدم هذه القضية من أساسها في مواضع عدة منها، ويثبت أن ألفاظه إلهية لا بشرية وأن هذه الألفاظ كلامه، منها: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦] ،﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨] ، ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] ،﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية:٧، ٨] فمهمة النبي هنا القراءة وليست الصياغة، وقال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢]، فالمعاني لو كانت هي النازلة وحدها لا توصف بأنها عربية، وإنما الألفاظ ونظمها هي التي توصف بذلك، وبالتالي فإن الآيات نزلت مع معانيها على النبي، فلغة القرآن ومعانيه كلها وحي. وقال ﷻ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:١٥ :١٧] قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي مُشْرِكِي مَكَّةَ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: هَمْ خَمْسَةُ نَفَرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيُّ وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ وَمِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قيس العامري والعاص بن وائل بن هشام. قالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنَا، قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ نُؤْمِنَ بِكَ ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا، لَيْسَ فِيهِ تَرْكُ عِبَادَةِ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ، وَلَيْسَ فِيهِ عَيْبُهَا، وَإِنْ لَمْ يُنْزِلْهَا اللَّهُ فَقُلْ أَنْتَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِكَ، أَوْ بَدِّلْهُ، فَاجْعَلْ مَكَانَ آيَةِ عَذَابٍ آيَةَ رَحْمَةٍ، أَوْ مكان حراما حلالا أو مكان حلالا حَرَامًا، قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي، مِنْ قِبَلِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ

إِلَّا مَا يُوحى إِلَيَّ، فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ، إِنِّي أَخافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. (١)

ثانيا: أجمعت الأمة على أن القرآن كلام الله تعالى لفظا ومعنى، وليس للنبي فيه إلا التبليغ كما نزل من عند ربه، وليس لأحد أن يغير فيه حرفا زيادة أو نقصا، وقد اتفق العلماء علىَ أَن كل مَا فِي الْقُرْآن حق وَأَن من زَاد فِيهِ حرفا من غير القراءات المروية المحفوظة المنقولة نقل الكافة أَو نقص مِنْهُ حرفا أَو بدل مِنْهُ حرفا مَكَان حرف، وَقد قَامَت عَلَيْهِ الْحجَّة أَنه من الْقُرْآن فتمادى مُتَعَمدا لكل ذَلِك عَالما بانه بِخِلَاف مَا فعل فانه كَافِر ".(٢)

ثالثا الرد العقلي:

– الفرق في الأسلوب بين القرآن والحديث، فإن الشخص مهما كان أديبا عبقريا يستحيل أن تصدر عنه جمل مختلفة في الأسلوب في وقت واحد، فالنبي ﷺ بشر، ولكنك تجد الفرق واضحا بين أسلوبهما ونظمها، ولا يمكن القول أن لمحمد أسلوبين من كلام، أسلوب منمق مزخرف وهو القرآن وآخر أقل وهو الحديث لأن أكثر القرآن نزل فجأة دون انتظار، وبالتجربة هاتوا لنا إنسانا له موهبة فيقول قولا وسجلوا له ميزات أسلوبه ثم اسألوه أن يغير أسلوبه إلى أسلوب آخر وآخر، ثم سجلوا له، إنه لا يستطيع أن يترك أسلوبه الأول، فالأسلوب طريقة لازمة للشخص في أداء المعنى لا يمكن أن يبرأ صاحبه نفسه منه (٣) . كما أن كل من أوتي حظا من حس البيان وذوق البلاغة يفرق بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث النبوي فرقا كبيرا يمثل الفرق بين مقدور الخالق ومقدور المخلوق وهما لا يزالان بيننا.

---

١ – معالم التنزيل في تفسير القرآن" تفسير البغوي" للإمام البغوي (ت : ٥١٠هـ) ج٢ ص ٤١٣، ٤١٤،ت: عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

٢ – مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات ص ١٧٤، لابن حزم الظاهري ت : ٤٥٦هـ ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، بدون .

٣ – شبهات وأباطيل الخصوم والرد عليها ص ٣٨، لمحمد متولي الشعراوي ، جمع وترتيب: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة التراث الإسلامي، بدون.

– لو كان لهذه الشبهة شيء من الوجاهة لكان أولى الناس أن يجهر بها هم أولئك العرب الخلص الذين شافههم القرآن لأنهم كانوا أحرص على تعجيز محمد وإسكاته، لكنهم ما قالوا هذا إيقانا منهم بظهور المميزات الفائقة بكلام الربوبية عن كلام النبوة مما لا يلتبس أحدهما بالآخر في شيء. [1]

– عجز الرسول عن الإتيان ببدل له لما طلبوا من النبي ﷺ أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن أو أن يبدله فلم يفعل، وما ذاك إلا لأن القرآن ليس كلامه بل هو خارج عن طوقه، ولو كان كلامه لاستطاع ذلك، وحينئذ يكتسب أنصارا إلى أنصاره ، لكنه أعلن عجزه عن ذلك وأبدى مخاوفه إن أقدم عليه، وهو الصدق مع النفس ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ.....الى آخر الآيات﴾ [يونس:١٥: ١٧] . [2]

– أن القرآن لم يأت الناس من الخلف بل جاءهم من أوسع الأبواب، ودخل عليهم من طريق العرب الخلص ذوي اللسن والبيان، وتحداهم فيما نبغوا فيه وهو صناعة الكلام. شأن معجزات الله ﷻ لم تأت الناس إلا من الناحية المفهومة لهم كل الفهم وذلك ليظهر أمر الله واضحا جليا لا شكك فيه، ومن هنا نعلم والتاريخ يشهد أن القرآن لو كان مصدره نفس محمد كما يقول أولئك الملاحدة لأمكن هؤلاء العرب البارزين في البيان أن يعرفوا أنه كلامه بما أوتوا من ملكة النقد والذوق، ولأمكنهم أن يجاروه ولو شيئا قليلا، لا سيما أن القرآن قد تحداهم بأن يأتوا بمثل أقصر سورة، فما بالك وقد خرست ألسنتهم وخشعت أصوات الأجيال كلها من بعدهم.

– إن هذا الحديث ليس سهلا، فإن المقصود بقولهم نزول المعنى دون اللفظ هو هدم إعجاز القرآن، لأن الأمر بصورة بسيطة أن المعجزة لا تكون إلا من

---

١ – مناهل العرفان ج١ ص ٨٥.

٢ – مناهل العرفان في علوم القرآن ج٢ ص ٤٠١، ٤٠٢ ،الحداثيون العرب وموقفهم من القصص القرآني عرض ونقد ، د بسام محمد محمود عبيدات ، ص ١٦٩.

صنع الله ﷻ لا من صنع أحد، كما أن دلالة العقل تقرر أنه ليس هناك مانع من نزول القرآن باللفظ والمعنى [١].

ثم أقول بعد ذلك : لعلنا بعد كل ذلك يمكننا القول بأن كل هذا التوظيف لم يكن لمشروع قرآني أو تصحيح منهج نقدي، بل هو مشروع لتمرير أفكار اعتنقها هؤلاء ثم أرادوا إلباسها الثوب الإسلامي حتى تحظى بالقبول لدي العقول المسلمة.

ما ترتب على قولهم ببشرية القرآن الكريم :

– أن القرآن منتج ثقافي، ولا وجود للوحي، بل ولا حاجة إليه:

يقول نصر أبو زيد: إن النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي، والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاما، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقا عليها، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقي[٢] سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية، ويعكر من ثم إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص . [٣] أما عند حنفي فكارثة كبرى: فالوحي عنده " ما هو إلا ممارسات يومية حولناها في فترة تخلّفنا إلى مجرّد عقائد وشعائر، نُكفّر من لم يؤمن بها أو يمارسها "[٤] فالوحي إذن يتوقف عندما يصبح الإنسان قادرًا بعقله إلى أن يصل للحكم دون تدخّل نصّ آخر، ومن ثمَّ إذا أعلن الإنسان أنّه قادر بعقله على أن يفهم القوانين الاجتماعية والطبيعية، وقادر على أن يختار بن بديلين، فعندئذ لا لزوم للوحي إطلاقًا " وبناء على ما سبق، فالوحي عند حسن حنفي: "واقع يتحقّق، والواقع وحي متحقّق ويكون العيب كلّ العيب في جعل الوحي مطلقًا خارج الزّمان والمكان أو حرفًا في

---

١ – مقالتان في التأويل، معالم في المنهج ورصد للانحراف ص ١٠٩، أ.د / محمد سالم أبو عاصي ،دار الفارابي للمعارف، ط: الأولى ١٤٣٠–٢٠١٠ .

٢ – الميتافيزيقا، ما وراء الطَّبيعة، أمور غيبيّة لا تخضع للحسّ أو الرُّؤية، تقابل الحسّيّات . معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار.

٣ – مفهوم النص لنصر أبو زيد ص ٢٤ .

٤ – هموم الفكر والوطن ص ٥٧ .

نصّ مدوّن ".[١] وهذا قول صريح في إنكار أن يكون القرآن كلام الله أو أن يكون وحيًا إلى رسوله ﷺ . ويقول هشام جعيط:" الوحي إنّما هو هجوم مباغت داخل الضّمير لألفاظ ومعانٍ مطبوعة بالغيرية، وقد يكون الوحي مستوحى أي مطلوبًا في الفترة المدنية ومترقّبًا في آن، وكان من الممكن ألا توجد رؤيا أو وحي إلهي، وأن يتكلّم النّبي عن الله ووحدانيته ونظام الكون واليوم الآخر والعبادات والأخلاق من لدنه، ويجد من يتبعه "[٢]. كما زعم أيضا أنّ كبار المؤسّسين للأديان كانوا كذلك على الأقلّ من جهة أنّهم سخّروا حياتهم لهاجس داخلي ونداء باطني ".[٣] وليس عجبا من قول هؤلاء فإن القول بالوحي أو النسخ من قبيل الذات أو النّفس– أي إنّ الوحي نفسي أو هاجس داخلي، وليس أمرًا خارجيًّا هابطًا على الموحى إليه– لم يقل به طيب تيزيني وحده بل قال به أغلب الحداثيين، بل إنَّ القول بالوحي أو النّسخ النّفسي" أو القول بأنَّ القرآن فيض من خاطر محمّد ﷺ أو انطباع لإلهامه، أي إنّه ناتج عن تأمّلاته الشّخصية وخواطره الفكرية وسبحاته الرّوحية هو النظريّة التي فصّلها إميل درمنغم، وحاصلها أنّ الوحي إلهام يفيض من نفس النّبي الموحى إليه لا من الخارج؛ ذلك أنّ منازع نفسه العالية، وسريرته الطاهرة، وقوّة إيمانه بالله وبوجوب عبادته، وترك ما سواها من عبادة وثنية، وتقاليد وراثية، يكون لها في جملتها من التّأثر ما يتجلىّ في ذهنه، ويحدث في عقله الباطن الرّؤى والأحوال الرّوحية، فيتصوّر ما يعتقد وجوبه إرشادا إلهيًا نازلاً عليه من السّماء بدون وساطة".[٤]

---

١ – المرجع السابق ص ٢٣ .

٢ – الوحي والقرآن والنبوة ص ٦٩ ، هشام جعيط ، دار الطليعة بيروت ، ط: الثانية ٢٠٠٠ م .

٣ – المرجع السابق ص ١٨ .

٤ – الوحي المحمدي ص ٨٠ ، لمحمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ص ١٢٣ وما بعده بتصرف واختصار، د . محمود ماضي ، ط : دار الدعوة بالاسكندرية ١٤١٦ – ١٩٩٦.

إنَّ هذه النّظرية التي جاء بها طيب تيزيني ما هي إلا اجترار لقول المستشرقين وقول العرب الجاهلين قبلهم في النّبوة والوحي، غير أنّ الفكر الاستشراقي والفكر الحداثي بصفة عامّة أخذا بعرض ما أكل الدّهر عليه وشرب بصورة حديثة برّاقة تتمحور في أنّ رجال الوحي أناس استغرقوا في التّفكر في أمنياتهم عقودًا من الدّهر حتّى رأوها مماثلة في خيالهم وأمام حسّهم وهو ما نقله القرآن الكريم بقوله :"﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]. لقد أكّد طيب تيزيني في أكثر من موضع على القول بالوحي أو النّسخ النّفسي الذاتي، في الوقت الذي غاب عنه أنّ النّبي ﷺ لا يمكنه أن يزيد أو ينقص كلمة، فبالأحرى نسخ آية أو آيات، كيف يقوم بذلك وقد قال الله ﷻ"﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٤ :٤٧]. [١] وارتباطًا بموضوع الوحي والنّسخ، يرى طيب تيزيني أنّ القول بأزلية النصّ القرآني مرفوضة؛ لأنّها لا تتماشى مع ظاهرة النّسخ التي تشتمل على الإلغاء والتّعديل فإذا كانت كلّ تلك الصّيغ الثلاث من النّاسخ والمنسوخ(ما نسخ حكماً وبقي تلاوة، وما نسخ تلاوة وبقي حكماً، وما نسخ تلاوة وحكماً معًا) تشير ضمنًا وصراحة إلى التّشكيك بأزلية النصّ، بل ورفضها، فإنّ الصيغة الأخيرة منها خصوصًا تفضي إلى وضع مصداقية القول بأنّ المصحف العثماني يشتمل على كلّ ما أملاه النّبي على كتّابه قرآنًا موضع الشكّ والارتياب"[٢] إذن ما الذي هيأ لقبول الوحي وجعل الفكرة مستساغة عند العرب؟ : يقول نصر أبو زيد : إن ذكر عملية الوحي سابقا مثل الوحي من الجن للبشر جعل هذا الأمر مستساغا لدى العرب أو لدى مستقبليه ، وقد ذكر القرآن شيئا من ذلك. [٣]

أقول بعد كل ذلك ما قاله د/ ادريس الطعان: إن الهاجس الأساسي الذي يسيطر على الخطاب العلماني هو استبعاد وإقصاء أي مفهوم غيبي أو

---

١ – الدراسات الحداثية للقرآن الكريم من دعاوى التجديد إلى إثارة الشبهات ، لسعيد عبيدي ص ٦٩ ، ٧٠ .

٢ – النصّ القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة ص٢٥٤ .

٣ – مفهوم النص لنصر أبو زيد ص ٣٣ وما بعدها .

سماوي، وهو ما يعني قبول كل مفهوم يكرس بشرية الوحي، حتى ولو اقتضى ذلك مناطحة الحقائق . ولأنهم إذا اعترفوا بالوحي كما هو في المفهوم السائد المستقر فإن ذلك سيدفعهم إلى الاعتراف باستمرارية الإسلام وفاعليته من خلال القدوة النبوية، يقول اركون: ولكننا لا نستطيع العودة إلى النموذج النبوي لأننا أصبحنا نرى بوضوح تاريخيته واندماجه في الأنماط العابرة لإنتاج المعنى داخل التاريخ . [١]

- أن مهمة الوحي تربوية فقط، لا شأن لها بالعقيدة:

مهمة الوحي عند حسن حنفي تربوية محضة؛ الهدف منه هو تربية الإنسانية وليس هدايتها إلى الطريق القويم؛ يقول: مهمّة الوحي تربوية محضة، والغاية منه تربية الإنسانية وليس إعطاء عقائد أو إقامة شعائر أو تشييد مؤسّسات، فالوحي وسيلة لا غاية، إذا تحقّقت الغاية أدّت الوسيلة المطلوب منها "[٢] .

- القول بتاريخية القرآن الكريم:

سبق القول بأن تاريخية القرآن تعني: أنه عمل بشري أفرزته وقائع تاريخية بما يناسب زمان ومكان تلك الأحداث [٣]. فهي على ذلك ربط فهم النص بزمن تاريخي غير ممتد، شكَّلته الظروف الخاصة المحيطة بالنص. فالمنهج التاريخي يعتبر أن تفسير النص يجب أن يكون مرهوناً بتاريخه، ويجب أن يكون ساكناً هناك لحظة ميلاده، فلا يمكن فصل أي نص عن تاريخه .هذا المنهج يصدر عن نزعة مادية وضعية لا تؤمن بأن الأديان هي من صنع الله ﷻ ، ويعتبرها إنشاءً إنسانيا، وذلك لأن الإنسان يتحكم به التاريخ بشكل كامل، والله مطلق منزه عن ذلك، ولقد حاول البعض بناء على مقولة" المنهج التاريخي "إلصاق النص بالتاريخ لتسويغ التخلي عنه الآن كأن يراد من

---

١ - القران من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب ص ٨٦ ، لمحمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة بيروت ط: الأولى ٢٠٠١، العلمانيون والقرآن الكريم " تاريخية النص " د/ أحمد ادريس الطعان ص ٦٣٧ بتصرف واختصار.

٢ - تربية الجنس البشري للسنج ص ١٢١، ترجمة وتعليق حسن حنفي ، دار التنوير ببيروت ، ط : ٢٠٠٦ .

٣ - التهوين من مسألة القول بخلق القرآن ومآلاته عند المعاصرين ص ٣، فوزي عبد الصمد فطاني، مركز سلف للبحوث والدراسات.

المنهج التاريخي تأمين انسلاخ جماعي للمسلمين من كتابهم الكريم، من أجل تسليمهم للوضعية، والدخول في الحداثة الغربية المادية بحسن نية وبسوئها.[١] يقول عبد المجيد الشرفي: ومعنى ذلك أن ما تضمنته النُّصوص الشَّرعيةُ من أوامر ونواه إنَّما كانت موجهةً إلى الناس الموجودين في زمن نزول الوحي، أو كانت حالُهم تشبه حالَ من نزل عليهم القرآن؛ وأما من جاء بعدهم وعاش واقعا غير واقعهم فلا يشمله النَّص الشَّرعي . فإذا تغيرت أوضاع الناس في مجمل حياتهم – كما هو الأمر في حياة الناس اليوم – فإن تلك الأحكام التي يتضمنها النَّص ليست متعلِّقةً بهم أمرا ونهيا، ولهم أن يتدينوا فهما وتطبيقًا بخلافها؛ معتبرين أن ذلك هو الدين الصحيح في حقِّهم، كما كانت تلك الأحكام هي الدين الصحيح في حقِّ المخاطبين زمن النُّزول؛ ويرى بعضهم أن ما فُرض من تفاصيل العبادات والمعاملات هو أثر لمقتضيات البيئة الحجازية البسيطة في عصر الرسول ﷺ دون غيرها من البيئات. [٢] ويستدعي نصر أبو زيد مقولة "خلق القرآن" عند المعتزلة كي ينفذ من خلالها للقول ببشرية النص القرآني، باعتبار أن الكلام الإلهي فعل إلهي وإذا كان كذلك فإنه ظاهرة تاريخية لأن كل الأفعال الإلهية أفعال في العالم المخلوق المحدث أي التاريخي، والقرآن الكريم كذلك ظاهرة تاريخية من حيث أنه واحد من تجليات الكلام الإلهي. [٣] أما حسن حنفي فيعتقد بأنّ هناك علاقة جدلية بين النصّ والواقع؛ فالنصّ هو استجابة لنداء الواقع ومتطلباته ومقتضياته، والواقع يجد تفسيره في النصّ، إذا ما تمّ تأويل النصّ وفهمه تاريخيًا وواقعيًا؛ فالقرآن كما يراه حنفي مجموعة من الآيات نزلت خلال ثلاثة وعشرين عامًا،

---

١ – إشكالية القراءات الحديثة للنص الديني ، دراسة نقدية ، د إبراهيم طلبة حسين ،الاستاذ المشارك في قسم الثقافة الإسلامية ، كلية الشريعة بالرياض جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، مجلة الدراسات العربية كلية دار العلوم ، جامعة المنيا ص ٤٤٩٧ وما بعده بتصرف.

٢ – الاسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠١ م، ص ٦١ .

٣ – النص السلطة ،الحقيقة د. نصر حامد أبو زيد ، ص ٥ ، ٧٥ ، نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التراث (دراسة تحليلية) ص٢٨١ .

وكلّ آية أو آيات تمثل حلاً أو إجابة للمشكلات التي تطرحها الحياة اليومية للجماعة الإسلامية، وعلى هذا النّحو "يصدق النصّ في الواقع، وما لم ينزل النصّ على نازلة يظل دائرًا في الهواء حائرًا، لا زمان له ولا مكان، والواقع كذلك يجد تأويله في النصّ "[١] ومن هنا فهو يؤكّد على تاريخية النصّ القرآني باعتباره ظاهرة كأيّ ظاهرة أخرى، نشأت في ظروف تاريخية خاصّة لا يمكن تجاوزها في أثناء الحديث عنه يقول:" النّصوص الدّينية ذاتها نصوص تاريخية، نشأت في ظروف اجتماعية خاصّة عُرفت باسم أسباب النّزول، وتطوّرت طبقًا للزّمان وتجدّد حاجات المجتمع وتنوّع قدرات البشرية من حيث هي مصادر للشرّع عُرفت باسم النّاسخ والمنسوخ"[٢]. وفي تأكيده على "تاريخية" النصّ القرآني يذهب في كتابه التّراث والتّجديد إلى أنّ الوحي هو مجموعة من القصص التّاريخي والأساطير، وأنّ ما ظنّه النّاس قرونًا طويلة وحيًا ربّانيًا هو في الحقيقة ليس كذلك؛ يقول :" وثبت أنّ ما ظنّه النّاس قرونًا طويلة وحيًا أنّه ليس كذلك، بل مجموعة من كتب التّاريخ القصصي والأساطير، تحلّلت النّصوص ورجعت كلّ فقرة إلى مصادرها في بابل أو آسيا الصّغرى أو مصر، وظهرت بواعث التّأليف سياسية واقتصادية واجتماعية "[٣] وبناء عليه : يكون الإنسان غير محتاج إلى الوحي بقدر ما هو محتاج إلى تجاربه اليومية، وفي هذا الصدّد يصرّح بقوله "، الإنسان لا يحتاج إلى وحي".[٤] وها هو أركون يرفض صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان وهو ما نطلقه دائما أيضا على صلاحية القرآن حيث يقول:" إن الخطاب الشائع حاليا

---

١ – الوحي والواقع تحليل المضمون ص ١٥ بتصرف ، لحسن حنفي ، ط : مؤسسة هنداوي ٢٠٢١ .

٢ – هموم الفكر والوطن ص ٧٣ .

٣ – التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم ص ٨٧، د/ حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط: الرابعة ١٤١٢– ١٩٩٢ .

٤ – قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر لحسن حنفي ج١ ص٩٢ ، دار التنوير بيروت ط:الثانية ١٩٨٣ ، الدراسات الحداثية للقرآن الكريم من دعاوى التجديد إلى إثارة الشبهات ص ٥٦ ، لسعيد عبيدي ، باحث في حوار الحضارات ومقارنة الأديان ، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية ، ، العدد ٤ ، ٥ للعام ٢٠١٧–٢٠١٨ م.

قد زاد من حدة الصرامة العقائدية الجامدة للتصورات القديمة الموروثة عن الإسلام أقصد الإسلام الصالح لكل زمان ومكان والذي يستعصي على التاريخ، لأنه فوق الزمن والواقع التاريخي".[١]

الرد عليهم: مما نجد في كتبهم أولا تناقضهم مع أنفسهم فيقول أركون: إحدى خصائص القرآن الأساسية قابليته لأن يعطي باستمرار ويولد هذا المعنى. "[٢] فكيف إذا كان كذلك يرتبط بتاريخية معينة، أما القرآن ذاته فليس غريبا أن يتحدى منذ ظهوره التاريخية التي ظهر فيها، ويتجاوزها برسالته الربانية الخالدة التي جاء بها محمد رسول الله ﷺ، قال ﷻ :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء١٠٧]، فالحداثيون إذا استنكروا ذلك ففيه مغالطة، وإنكار لحقيقة القرآن، لأنه هو نفسه نص على عدم تاريخيته وأكده، فكتاب الله ﷻنص صراحة على أن محمدا رسول الله إلى العالمين، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسالته هي الرسالة الخاتمة إلى الإنس والجن، من جحدها فلن يقبل الله منه. وهذا من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وذلك يستلزم بالضرورة القول بأن: الإسلام صالح لكل زمان ومكان. كذلك ألا يعد من مظاهر لا تاريخية القرآن إنه اخترق الزمان والمكان والمجاهيل، فاخترق تاريخ الكون والإنسان، من النشأة إلى زمن الرسولﷺ، واخترق المستقبل عندما تكلم عنه، واخترق المجاهيل عندما تكلم عن طبيعيات الفضاء والأرض، وأحوال الجنين في بطن أمه، تكلّم عن كل ذلك بطريقة علمية معجزة مذهلة، في زمن كانت تُسيطر عليه الخرافات والأساطير، والأوهام والظنون، فلم يقع في أخطاء ذلك الزمن، ولم يكن صدى له، وجاء بما لم يكتشفه الإنسان إلا بعد الثورة العلمية في القرن التاسع عشر وما بعده. وقد صُنفت في ذلك كتبا كثيرة متخصصة ، وأصبح من الأمور الثابتة المسلم بها، وقد أُنشئت لذلك الهيئات

١ – الاسلام، أوروبا، الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة ،لمحمد أركون ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي، ط : الثانية ٢٠٠١ .

٢ – الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ٢٧٤ .

الرسمية، فتولت الاهتمام بالإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، على أيدي نخبة من كبار العلماء المسلمين المختصين في مختلف العلوم الحديثة. [١]

– لا سلطان إلا للواقع : قد مر قولهم بتاريخية القرآن وما يحمل هذا القول في طياته وكل ذلك ناشئ من قولهم بأن الواقع هو الأصل، يقول حسن حنفي: مهمة التراث والتجديد التحرر من السلطة بكل أنواعها ، سلطة الماضي وسلطة الموروث، فلا سلطان إلا للعقل، ولا سلطة إلا لضرورة الواقع. [٢] ويقول نصر أبو زيد:" الواقع إذن هو الأصل، ولا سبيل لإهداره، ومن الواقع تكون النص ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه، ومن خلال حركته بفاعلية البشر تتجدد دلالاته، فالواقع أولا والواقع ثانيا والواقع أخيرا."[٣] كما يقول أيضا: الحقيقة التي لا يمكن التشكيك في سلامتها أن هذه النصوص لم تلق كاملة ونهائية في لحظة واحدة، بل هي نصوص لغوية تشكلت خلال فترة زادت على العشرين عاما، وحين نقول " تشكلت " فإننا نقصد وجودها المتعين في الواقع والثقافة بقطع النظر عن أي وجود سابق لهما في العلم الإلهي أو في اللوح المحفوظ . [٤] ويقول محمد أركون : ننظر إلى القرآن ليس على أنه كلام آت من فوق ، وإنما على أنه حدث واقعي تماما كوقائع الفيزياء والبيولوجيا . [٥]

---

١ – الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون ومحمد عابد الجابري "دراسة نقدية تحليلية هادفة"، ص ٥٣ وما بعدها بتصرف واختصار ، د/ خالد كبير علال ،ط: ، دار المحتسب – ط: أولى سنة ٢٠٠٨ .

٢ – من التراث والتجديد لحسن حنفي ص ٤٥.

٣ – نقد الخطاب الديني ص ١٣٠ .

٤ – مفهوم النص لنصر أبو زيد ص ٢٥ .

٥ – تاريخية الفكر لأركون ص ٢٨٤ ، نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التراث (دراسة تحليلية) ص ٧٦٣ .

المبحث الثالث

دحض فرية الحداثيين في مقالتهم

ويتكون من مطلبين :

المطلب الأول : الرد على قولهم بنفي الوحي، إذ به تنتفي الرسالة.

المطلب الثاني : الرد على قولهم أن القرآن تجربة بشرية وما فرعوا عليه من مواقف.

المطلب الأول : الرد على قولهم بنفي الوحي، إذ به تنتفي الرسالة.

لما سولت للعلمانيين أنفسهم بالتشكيك في أساس الدين، لم يلتفتوا إلى الإجماع وعارضوا أساسيات العقيدة، وظنوا أنهم بفروضهم الفلسفية يستطيعون أن يشككوا المسلمين في مصدر دينهم، فتارة يدعون أنه من كلام بشر، أو أنه من صياغة الواقع، أو ينفون عنه الإلهية، فالعبارات مختلفة والنتيجة واحدة، وما أشبه الليلة بالبارحة، لكن أولئك كانوا كفارا وهؤلاء قد تسموا بأسماء المسلمين، لذا وجب الرد بالعقل بجوار النقل دحضا لشبهتهم ودحرا لاجتهادهم الكاذب .

الرد النقلي على قولهم بنفي الوحي :

١- دليل نزول الوحي ظاهر للشاهد الذي رأى بعينه في عصره، وأما الغائب عن زمن البعثة فقد ثبت تواترا مما يقهر النفس على اليقين[١] ، ولقد لخص القرآن الكريم قضية الوحي والرسالة تلخيصا موجزا في آياته منها ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ**﴾ [الأنعام: ٩١] فهذه الجملة مع وجازتها تشتمل على ما يأتي :

---

١ – فهم جذور البيان ، د/ محمد سالم ابو عاصي ص ٨٨ بتصرف .

أ- تسجيل كفر الكافرين بهذا الشأن الإلهي الذي هو إنزال الوحي على البشر.

ب- الإشارة إلى الشبهة الأساسية المتوارثة خلفا عن سلف في إنكار هذه الحقيقة، وهي استبعاد حصول ذلك أو زعمهم إغناء العقل عنه . وقد جاء الرد عليهم مقابلة لسلبهم العام حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء بالإثبات الجزئي لرسالة معروفة مشهورة قبل رسالة النبي﴿ **قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًىٰ لِلنَّاسِ**﴾ [الأنعام: ٩١]، ويقول أهل المنطق إن السلب العام يُنقض بالإثبات الجزئي. (١)

٢- قال القاضي عياض: أجمعت الأمة على عصمته ﷺ من التقول على الله ﷻ عمداً، أو خطأ، أو سهواً، وكل ذلك محالٌ في حقه ﷺ . كما أجمعت على عصمته فيما طريقه البلاغ من الأقوال، وأنه معصومٌ عن الإخبار عن شيءٍ منها بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً، ولا سهواً، ولا غلطاً " (٢)، كما نفى المؤثر الخارجي بقوله: "وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَتَصَوَّرَ لَهُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ الْمَلَكِ وَيُلَبِّسَ عَلَيْهِ لَا فِي أَوَّلِ الرِّسَالَةِ وَلَا بَعْدَهَا، وَالِاعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ دَلِيلُ الْمُعْجِزَةِ بَلْ لَا يَشُكُّ النَّبِيُّ أَنَّ مَا يَأْتِيهِ مِنَ اللَّهِ الْمَلَكُ وَرَسُولُهُ حَقِيقَةً، إِمَّا بِعِلْمٍ ضَرُورِيٍّ يَخْلُقُهُ اللَّهُ لَهُ أَوْ بِبُرْهَانٍ يُظْهِرُهُ لَدَيْهِ لِتَتِمَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ. (٣)

٣- حفظ النبي ظاهرا وباطنا وذلك بـ : (٤)

أ- تدخل القدرة الإلهية مباشرةً عند حصول تقولٍ من النبي ﷺ سهواً، أو عمداً مع عدم من يستطيع إثبات ذلك التقول، وهذا تنزلاً وإلا فهو غير واقعٍ، ولا

---

١ - خصائص القرآن الكريم للشيخ محمد محمد المدني ص ٢٦ ، ط : مطابع فاين لاين ، ط : أولى ١٤٢٢-٢٠٠١ .

٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) ج ٢ ص ٢٨٥ ، ٢٩٤ ، دار الفيحاء - عمان ، ط: الثانية - ١٤٠٧ هـ .

٣ - المرجع السابق ج ٢ ص ٢٨٠ .

٤ - تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم ، دراسة تأصيلية، لعبدالسلام مقبل المجيدي ص ٢٥٤ وما بعدها بتصرف، ط: مؤسسة الرسالة ، ط: الأولى ١٤٢١-٢٠٠٠.

متوقعٍ، ودليله قولهﷻ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الشورى:٢٤]" . وقد شمل قوله ﷻ ﴿"وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ" فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة :٤٤-٤٧]، حالة التقول عمداً، أو سهواً.

ب -استحالة تغيير هيئةٍ من هيئات أدائهﷺ فضلاً عن حرف من حروفه؛ لقولهﷻ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ "[يونس الآية١٥]، وللأمر الإلهي المقترن بالوعد في قوله ﷻ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيامة[١٧].

ج- حراسة الرسولﷺ من أن يأتيه عدوٌ غيبيٌ يناله بسوءٍ في نفسه أو وحيه، هذه الحراسة تُثَبِّتُ قلب النبي ﷺ، وتزيد المؤمنين إيماناً، وتدحر تخرصات المشركين، وذلك كما قال ﷻ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ الجن [الآيات:٢٦: ٢٨]". ورأس ذلك الغيب الوحي القرآني.

الرد العقلي:

- سؤال يطرح نفسه، هل أنتم تنكرون الوحي جملة ؟ إذا كان الأمر كذلك فلا نبوات البتة، وحينئذ ترتفع الثقة بكل إنسان زعم يوما أن ملكا جاءه وأن وحيا نزل عليه، فكلهم كذبة، وإن كنتم تؤمنون بالوحي ويصدق أنبياء اليهود والنصارى وحدهم ، فما سر هذه التفرقة ؟ (١)

- قضية الوحي قضية هامة لما لها من أثر في حياة البشر إذ يترتب عليها: مبدأ الإيمان بالأديان فيعترف أهل الأرض بتوجيه السماء، أو مبدأ " اللادينية" التي لا تعترف بهذه الصلة، ولا ترتبط بها، وترى أن الإنسان سيد نفسه، وسيد هذا الكوكب، لا يتلقى وحيا إلا من عقله وتجاربه. فقوله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ فيه بيان لإنكار المنكرين لأنهم لم يقدروا الله حق قدره ، إذ كان منهم من استبعدوا هذا على قدر الله مع أنه غير

١ - فهم جذور البيان للشيخ غزلان ، د/ محمد سالم أبو عاصي ص ٩٧، مكتبة الإيمان بالقاهرة، بدون .

مستحيل بل ممكن، فلو قدروا الله حق قدره وأدركوا مدى قدرته وحكمته لما نازعوا في هذه القضية . (١)

– لابد من قوة عليا تحكم بين العقول المتفاوتة سواء بالإيجاب أو السلب، فبعض العقول تختلف لديها موازين الفضيلة والرذيلة، وتتحكم فيها الأهواء والشهوات فتتلون أحكامها، وتؤثر في إدراكها للأمور، وقد يعميها التعصب فترى الحق باطلا والباطل حقا، أو تخدعها العادة المألوفة كما تخدع الحواس الظاهرة ، فتخيل لها الأوهام حقائق، فهل يترك الله خلقه لعقولهم فيصطدم الناس بعضهم ببعض في الحقائق والأحكام والنوازل كل يحكم فيه عقله وما رآه ؟ أم تقتضي حكمته ورحمته وربوبيته أن يهديهم بحكمه الفاصل بين ما هو رشد، وما هو غي في ثوب رشد. (٢)

والآن يمكننا القول بأن الرؤى العلمانية والاستشراقية حول الوحي لم تأت بجديد، وإنما هي تكرار لمواقف المشركين المحتارة والمضطربة في معارضة النبي، وإن كان ثمة جديد فهو الصياغات التي تعرض بها التفسيرات الحديثة : فلقد قال المشركون شاعر، وقال المحدثون شعور داخلي، وقال المشركون مجنون وقال المحدثون صرع أو هلوسة أو هوس، وقال المشركون كاهن وقال المحدثون مصلح اجتماعي أو قائد فريد، وقال المشركون أضغاث أحلام وقال المحدثون هذيان أو استبطان، وقال المشركون بل افتراه ويعلمه بشر وقال المحدثون ،تعلمه من أهل الكتاب . (٣)

المطلب الثاني : الرد على قولهم أن القرآن تجربة بشرية وما فرعوا عليه من مواقف.

وإن كان سبق الحديث بأن هذا الأمر شبهة قديمة، وتناوُل المستشرقين لها، إلا أننا هنا بصدد الرد بين العقل والنقل عليهم في قولهم بأنه تجربة بشرية:

---

١ – خصائص القرآن الكريم للشيخ محمد المدني ص ٢٧ ، ٣١ .

٢ – المرجع السابق ص ٣٥ بتصرف واختصار .

٣ – العلمانيون والقرآن الكريم " تاريخية النص " د/ أحمد ادريس الطعان ص٦٣٩ .

أولا : الرد النقلي:

الآيات التي تجرد الرسول ﷺ من نسبتها إليه من أن يكون له فيها حرف أو كلمة وتصفه بأنه كان قبل نزول القرآن لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان وتمتن عليه بأن الله آتاه الكتاب والحكمة بعد أن كان بعيدا عنهما وغير مستعد لهما ولم يكن عنده رجاء من قبل لأن يكون منهل هذا الفيض ولا مشرق ذلك النور قال ﷻ في سورة النساء: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ وقوله في ختام سورة الشورى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ﴾ وقوله في سورة القصص: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ . بل كان ﷺ يخاف انقطاع هذا المدد الفياض عنه، فإذا فتر الوحي عراه من الحزن على فترته والتلهف على عودته ما يجعله يمشي في الشعاب والجبال كأنه يتلمسه حتى لقد كاد يتردى مرة من شاهق وهو يطلبه، وأكثر من هذا أنه كان يخشى أن يتفلت منه شيء أثناء إيحائه إليه لولا أن طمأنه الله عليه، وأكثر من هذا وذاك أنه كان يخاف أن ينزع الله من قبله ما أنزل عليه وحفظه إياه، ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً ، إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً﴾ . [1]

فهل يتصور منصف على وجه الأرض أن القرآن كلام محمد بعد هذه الآيات التي تجرده من إنشائه ووضعه .

ثانيا: الرد العقلي[2]:

---

١ – مناهل العرفان في علوم القرآن الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، ج٢ ص ٤٠٣ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط: الثالثة، بدون.

٢ – مناهل العرفان في علوم القرآن ج١ ص ٨٩ وما بعدها بتصرف واختصار ، الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ص ١٥١ وما بعدها بتصرف واختصار ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر دمشق – سورية١٤٢٠– ٢٠٠٠. كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق ، د/ محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٨٩ وما بعدها بتصرف واختصار، دار الفكر بدمشق ١٩٩٧ . العلمانيون والقرآن الكريم " تاريخية النص " د/ أحمد ادريس الطعان ص ٦٤٠ وما بعدها بتصرف واختصار . الحداثيون=

-إذا نظرنا بنظرة عقلية فاحصة لما حدث مع النبي ﷺ أول الأمر[1] وما فيها من أحداث كلها أدلة وبراهين تنفي القول أنه ليس من عند أحد إلا العليم الخبير:

- مفاجأة النبي ﷺ في غار حراء بجبريل أمامه يراه بعيني رأسه يقول له " اقرأ" مما يبين أن ظاهرة الوحي ليست أمرا ذاتيا داخليا مردها إلى حديث النفس المجرد، وإنما هو حقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس.

- ضم الملك له ثلاث مرات حتى بلغ منه الجهد، أي حتى ضاق به نفسه ﷺ قائلا في كل مرة : اقرأ، ليؤكد أن هذا الذي يراه ليس خيالا أو شعورا ، وإنما هي حقيقة يحس بها في ويرى أثرها في ثنايا جسده.

- ما داخله من الخوف والرعب مما سمع ورأى حتى أنه قطع خلوته في الغار وأسرع عائدا إلى بيته يرجف ، مما يثبت أن رسول الله لم يكن منتظرا رسالة أو متشوقا إليها، بل لم تخطر بباله ، وإنما طرأت عليه دون توقع، ولا شك أن هذا ليس شأن من تدرج في التأمل والتفكير إلى أن يكون عقيدة يؤمن بالدعوة إليها .

- ليس الإلهام أو حديث النفس أو التأمل يستدعي كل ذلك الخوف والرعب وهي انفعالات قسرية لا سبيل إلى اصطناعها والتمثيل بها، هذا إن فرضنا إمكان المخادعة والتمثيل منه ﷺ، وفرضنا المستحيل من انقلاب طباعه وأخلاقه إلى عكسها تماما .

- ما يثبت تأكد المفاجأة لديه توهمه بأن الذي رآه ووعظه وكلمه في الغار قد يكون طائفا من الجن إذ قال لخديجة بعد أن أخبرها الخبر، " لقد خشيت على نفسي " فتطمأنه بأنه ليس ممن يطولهم أذى الشياطين والجان لما فيه من الأخلاق الحميدة.

= العرب وموقفهم من القصص القرآني عرض ونقد ، د بسام محمد محمود عبيدات ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ وما بعدها بتصرف واختصار.

١ - وذلك في حديث طويل أخرجه البخاري بسنده عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، باب بدء الوحي ح رقم ٣ . صحيح البخاري، ت:محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

– قد كان الله ﷻ قادرا على أن يربط على قلب رسوله ويطمئنه بأن هذا الذي كلمه هو جبريل عليه السلام جاء ليخبره الخبر بأنه رسول الله إلى الناس، ولكن حكمته ﷻ اقتضت إظهار الانفصال التام بين شخصية محمد قبل البعثة وبعدها، وأن النبي لم يستبطن شيئا من الرغبات والآمال ثم عبر عنها بشكل مفاجئ.

– فترة انقطاع الوحي بعد ذلك معجزة إلهية رائعة؛ ففيها أبلغ الرد على من يقولون بأنه تجربة بشرية انبعث من أعماق ذاته نتيجة طول التأمل والتفكير؛ فقد شاء الله ﷻ أن يحجب عنه الملك الذي رآه لأول مرة مدة طويلة واستبد به القلق من أجل ذلك، ثم تحول القلق إلى خوف في نفسه من أن يكون الله قد قلاه بعد تشريفه بالرسالة لسوء قد صدر منه وضاق بذلك حتى حدثته نفسه أن يلقي نفسه من ذروة جبل، إلى أن رأى جبريل مرة أخرى، إن هذا الانتظار الحزين ثم ما تلاه من ابتهاج مفاجئ لينفي الريب والشك أنه فيض عقلي .

– هل يمكن للإلهامات النفسية والتأملات الفكرية أن تؤدي أصواتا وأمرا﴿اقرأ﴾ ، ثم ينتج عنه قرآن مفهوم كاملا فصيح يتلى على الناس فيبهرهم.

–ما جاء به الوحي من تزاحم للحقائق التاريخية والكونية والاجتماعية التي لم يسبق له معرفتها، بل حتى في معارف عصره واهتمامه ، فقد كان رجلا أميا في أمة أمية في أظلم عهود الجاهلية .

– مفاجأة الوحي في أي وقت وبغير ميعاد، وتفاعل جسمه وعقله معه، ثم يبلغها كما سمعها ﷺ.

– لو كان الأمر بيده لأنزل كلاما حسب الطلب، ولكن لا ينبغي له ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٣] فعدم استجابة سيدنا محمد لطلباتهم دليل أنه ﷺ ليس مصدر الوحي، فسبحان من جعل من شبهاتهم دليلا عليهم.

– معلوم أن النابغة الفذ في أي عصر يستطيع أقرانه بيسر وسهولة أن يحاكوه مجتمعين ومنفردين في الشيء القليل إذ لم يستطيعوا معارضته في الجميع أو الكثير، لكنه لم يحدث.

– أن القرآن لو كان مصدره نفس محمد لكان من الفخر له نسبته إلى نفسه. ولأمكن أن يدعي به الألوهية فضلا عن النبوة فيصبح أكثر قداسة في نظرهم ، ولما كان في حاجة إلى أن يلتمس هذه القدسية الكاذبة بنسبته القرآن إلى غيره "فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً" ؟؟.

– ما كان من أخلاقه ﷺ، فقد كان يشيرون إليه بالبنان، وقد صدروا عن رأيه ورضوا بحكمه. فكيف يذر الكذب على الناس ثم يكذب على الله ؟!

– وحدة أسلوب القرآن وإحكامه وترتيبه البديع رغم تنجيمه، ما نزل فجأة على غير انتظار وتفكير وهو أكثره، وما نزل بعد طول انتظار وهو أقله. ومع هذا فأسلوبه ونظمه في الحالين سواء.

– ماذا يريد الإنسان سوى المال والجاه، وقد عرض عليه فأبى .

– وجود آيات العتاب، فقد سجل في كثير من آياته عتابا نشعر بلطفه تارة وبعنفه أخرى فلو كان كلام محمد ما سجل على نفسه هذا العتاب يتلوه الناس بل ويتقربون إلى الله بتلاوته حتى يوم المآب.

– وجود ملمات كثيرة وقضايا عديدة تتطلب جوابا سريعا كحادة الإفك وغيره وينزل القرآن بمعاد .

– خلو القرآن من تسجيل أحداث في حياتهﷺ فقد توفيت السيدة خديجة وعمه وابنه إبراهيم دون أن يذكر في القرآن شيئا يواسيه، بينما تحدث عن زواج زينب بنت جحش لكونه ذا صلة بالتشريع .

– ما جاء في القرآن من عبادات شاقة، وتحريم ملذات يتوق إليها أي إنسان، ولم يكن لقريش أي غضاضة في القيام بها، أأجبره هواه على قيام أكثر الليل والوصال في الصوم ، والنهي عن الذهب والحرير وقبول الصدقة وتوريث الأبناء؟ .

– ما جاء في القرآن الكريم من تخويف، كيف يخوف نفسه بما جاء من وعيد ؟ .

– إن النفس الباحثة عن الحق لتؤمن بذلك، وتوقن به بأدنى فكر أو بحث، ولكن الهوى وعمى البصيرة وشهادة الزور من الباحثين غير المنصفين يحجب عن ذلك ، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٤ : ٦] ، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩] ' لمَ لمْ تتكرر هذه التجربة ما دامت في نظركم متاحة للجميع أو عجز الزمان كله والعالم كله شرقا وغربا أن يأتي بمثل ذلك ، إذا ذلك يكفي لاتباعه وتصديقه ﷺ، هل بعد كل هذا يستقيم قولهم؟ إن ذلك لا يصدر إلا من مكابر جاحد أغمض عينه عن الحقيقة حتى لا تبهته. يقول د/ دراز: فانظر: كم قلَّبوا من وجوه الرأي في هذه المسألة؛ فلم يقفوا عند الحدود التي يمكن افتراضها في كلام رصين كالقرآن، وفي عقل رصين كعقل صاحبه، فذهبوا إلى أبعد الأحوال النفسية التي يمكن أن يصدر عنها كلام العقلاء والمجانين، إن ذلك لمن أوضح الأدلة على أنهم لم يكونوا يشيرون بهذا الوجه أو ذاك إلى تهمة محققة لها مثار في الخارج أو في اعتقادهم، وإنما أرادوا أن يدلوا بكل الفروض والتقادير، ليثيروا بها غبارًا من الأوهام في عيون المتطلعين إلى الحقيقة، وليلقوا بها أشواكًا من الشك في طريق السائرين إلى روض اليقين". [١] ، ويقول أ.د / محمد سالم أبو عاصي: حقيقتان اختص بهما القرآن الكريم هما: أولا: أنه نص إلهي موحى به من عالم الغيب إلى سيدنا محمد ﷺ ثم نقل إلينا بالتواتر، فإذا فقد الناظر فيه ساء أكان قارئا أم مفسرا أم مستنبطا هذه الحقيقة فقد فقدَ القاعدة المنهجية الأولى في التعامل مع هذا الكتاب الكريم . [٢] أقول : وهم يتعمدون فقدان ذلك .

---

١ – النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ص ٩٧ بتصرف، محمد بن عبد الله دراز (ت : ١٣٧٧هـ) ، دار القلم ، ط : ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م .

٢ – مقالتان في التأويل، معالم في المنهج ورصد للانحراف ص ٧، أ.د / محمد سالم أبو عاصي ،دار الفارابي للمعارف، ط: الأولى١٤٣٠–٢٠١٠.

خاتمة :

أهم النتائج :

– فتح مسألة خلق القرآن مرة أخرى ما هو إلا استجلاب للفتن والشبهات بقصد الاستفادة منها لمآرب نفسية.

–كلام الله تبارك وتعالى غير مخلوق.

– المنهج الحداثي يقوم على العقل دون النقل، بل ورفضه، ولكن دون حيادية أو نزاهة .

– الحداثيون متمردون على الموروث الثقافي الإسلامي، بغرض زعزعته وهدم قدسيته وزحزحة الثقة فيه.

– الحداثيون بمنهجهم ما هم إلا ذيول لثقافات غربية، همها الأكبر تقويض الإسلام والقضاء على تراثه وثوابته .

– الدراسات الحداثية قائمة على التدليس وذلك بإلباس الشبه ثوبا براقا لكن سرعان ما يزول أمام النقد السليم والتمحيص.

– قيام منهجهم على طرح الأسئلة والشبهات دون ردود علمية .

– رغم تدثر هؤلاء بدثار العلم والحيدة والنزاهة وإعطاء أنفسهم الحق في النقد بوسائل علمية إلا أنهم انحرفوا عن المنهج الصحيح، فلم يراعوا خصوصيات القرآن الكريم ككتاب ديني مقدس منزه عن الصفات مما جعلهم محل مؤاخذات وانتقادات لا تحصى ولا تعد، مما يدل على انحراف اتجاهاتهم .

أهم التوصيات :

– لابد من توجيه نظر الباحثين من أهل التفسير وعلوم القرآن إلى البحث في هذه الموضوعات المغلوطة والرد عليها وبيان زيفها، بل وتكوين فريق عمل متخصص يبحث في توجهات هؤلاء، ويترصد لهم في كل عمل دون تأخر لما فيه من خطر على الأمة وعقيدتها.

– وجوب العمل على سن قانون يجرم كل من يتجرأ على كتاب الله وسنة رسوله الكريم، ويكون الفيصل في إثبات ذلك هو الجهة الدينية المعنية بذلك مثل الأزهر الشريف وهيئة كبار العلماء ونحوه ، ولا تعد هذه الترهات والافتراءات من قبيل المساحة الفكرية كما يقول البعض مما يؤثر على القلوب والأسماع.

ثبت المراجع :

– إشكالية القراءات الحديثة للنص الديني" دراسة نقدية"، د إبراهيم طلبة حسين ،الاستاذ المشارك في قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، مجلة الدراسات العربية كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

– أصول الشريعة لمحمد سيد لعشماوي، ط : دار اقرأ ، بيروت ،ط : الثانية ١٤٠٣– ١٩٨٣ .

– الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون ومحمد عابد الجابري "دراسة نقدية تحليلية هادفة"، د/ خالد كبير علال، ط: دار المحتسب، ط: أولى سنة ٢٠٠٨ .

– الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠١ م .

– الإسلام، أوروبا، الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة ،لمحمد أركون ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ط : الثانية ٢٠٠١ .

– الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت: ٥٥٨هـ)،ت: سعود بن عبد العزيز الخلف ، ط: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

– الانحرافات المعاصرة في التفسير " القراءات الحداثية أنموذجا " أ. د / شاكر محمود مهدي العزاوي ، جامعة ديالي كلية العلوم الإسلامية ، وهو بحث بمجلة كلية التربية جامعة واسط ٢٠٢٠ .

– التحريف المعاصر في الدين،" تسلل في الأنفاق بعد السقوط في الأعماق ، مكيدة الماركسية والباطنية المعاصرة تحت شعار قراءة معاصرة للنصوص الإسلامية المصادر"، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم بدمشق، ط : الأولى ١٤١٨ – ١٩٩٧ .

– التراث والتجديد "موقفنا من التراث القديم"، د/ حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط: الرابعة ١٤١٢– ١٩٩٢ .

– التفسير السياسي للقضايا العقدية في الفكر العربي المعاصر، سلطان بن عبد الرحمن العميري ، مركز التأصيل للدراسات والبحوث بالسعودية ، ط: أولى ١٤٣١هـ .
– التوظيف الحداثي لآيات المرأة وإشكالياته " جمال البنا" نموذجا ، د . كفاح كامل أبو هنود ، ط : الفاروق بالأردن ، ط: الأولى ١٤٣٣ –٢٠١٢ .
– التهوين من مسألة القول بخلق القرآن ومآلاته عند المعاصرين ، فوزي عبد الصمد فطاني، مركز سلف للبحوث والدراسات.
– التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد ، تأليف منى محمد بهي الدين الشافعي ، ط : الأولى ١٤٢٩ ، ط: دار اليسر بالقاهرة .
– الحداثيون العرب وموقفهم من القصص القرآني عرض ونقد(رسالة دكتوراه من جامعة اليرموك ، كلية الشريعة ، قسم أصول الدين ٢٠١٠)، د بسام محمد محمود عبيدات .
– الحداثيون واستئناف القول بخلق القرآن ، لحباسي خالد ، بحث بمجلة المنهل الجزائرية ، المجلد السابع العدد١/٢٠٢١ .
– الخطاب والتأويل لنصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء بالمغرب، ط : الثالثة ٢٠٠٨.
– الدراسات الحداثية للقرآن الكريم من دعاوى التجديد إلى إثارة الشبهات ، لسعيد عبيدي ، باحث في حوار الحضارات ومقارنة الأديان ، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية ،العدد ٤ ، ٥ للعام ٢٠١٧–٢٠١٨ م .
– الرد على الجهمية، للدارمي (ت: ٢٨٠هـ) ، ت: بدر بن عبد الله البدر، ط: دار ابن الأثير– الكويت، ط: الثانية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
–الرد على الجهمية والزنادقة ،لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، ت: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع ، ط: الأولى، بدون.
– الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ) ، دار الفيحاء – عمان ، ط: الثانية – ١٤٠٧ هـ .

– الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر دمشق – سورية١٤٢٠– ٢٠٠٠.
– العبر في خبر من غبر، لشمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، ت: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت .
– العلمانيون والقرآن الكريم " تاريخية النص " د/ أحمد ادريس الطعان ، كلية الشريعة بدمشق ، ط : دار ابن حزم بالسعودية ، ط: الأولى ١٤٢٨ – ٢٠٠٧.
– الفرق الاسلامية مدخل ودراسة ، د. علي عبد الفتاح مغربي ، مكتبة وهبة، ط :الثانية ١٤١٥– ١٩٩٥.
– الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، لأبي منصور الأسفراييني(ت: ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: الثانية، ١٩٧٧.
– الفكر الاسلامي قراءة علمية لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء العربي بيروت ، ط: الثانية ١٩٩٦ م .
– القراءات الحداثية للنص القرآني ، دراسة تحليلية نقدية ، د/ حمادي هواري .
– القران من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب، لمحمد أركون ، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة بيروت ط: الأولى ٢٠٠١.
– الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ) ، ت: عمر عبد السلام تدمري، ط: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ،ط: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
– المعتمد في أصول الفقه، لمحمد بن علي الطيب أبي الحسين البَصْري المعتزلي (ت: ٤٣٦هـ) ، ت: خليل الميس، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ،ط: الأولى، ١٤٠٣.
– المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢ هـ) ، ت: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت ، ط: الأولى – ١٤١٢ هـ.

– النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم ، محمد بن عبد الله دراز (ت : ١٣٧٧هـ) ، دار القلم ، ط : ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م .
– النص السلطة ،الحقيقة "الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة" ، د. نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء المغرب ط: الأولى ١٩٩٥ .
– النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة لطيب تيزيني، ط : دار الينابيع بدمشق ١٩٩٧ م.
– الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ، د . محمود ماضي ، ط : دار الدعوة بالإسكندرية ١٤١٦ – ١٩٩٦.
– الوحي المحمدي ، لمحمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.
– الوحي والقرآن والنبوة ، هشام جعيط ، دار الطليعة بيروت ، ط: الثانية ٢٠٠٠ م .
– الوحي والواقع تحليل المضمون، لحسن حنفي ، ط : مؤسسة هنداوي ٢٠٢١ .
– تاريخية الفكر العربي الإسلامي لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء العربي بيروت، ط: الثانية ١٩٩٦م .
– تربية الجنس البشري للسنج، ترجمة وتعليق حسن حنفي ، دار التنوير ببيروت ، ط : ٢٠٠٦ .
– تقنيات الحداثيين – توظيف المخرجات البدعية –، إعداد عمار بن محمد الأركاني ، باحث بمركز سلف للبحوث والدراسات .
– تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم ، دراسة تأصيلية، لعبدالسلام مقبل المجيدي ، ط: مؤسسة الرسالة ، ط: الأولى ١٤٢١–٢٠٠٠.
– تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، لأبي بكر الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ) ،ت: عماد الدين أحمد حيدر، ط: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان ،ط: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

– جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، ت: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
– خصائص القرآن الكريم للشيخ محمد محمد المدني، ط : مطابع فاين لاين، ط : أولى ١٤٢٢-٢٠٠١ .
– خلق القران بين المعتزلة وأهل السنة لفخر الدين الرازي ت ٦٠٦ هـ ، ت: أحمد حجازي السقا ، ط دار الجيل بيروت ، ط: أولى ١٤١٣ -١٩٩٢ .
– رسالة في اللاهوت والسياسة، لباروخ سبينوزا، ترجمة حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، دار التنوير بيروت، ط: ٢٠٠٥.
– شبهات وأباطيل الخصوم والرد عليها، لمحمد متولي الشعراوي، جمع وترتيب: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة التراث الإسلامي، بدون.
– شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، ت: د / عبد الكريم عثمان، ط: مكتبة وهبة بالقاهرة، ط: الثالثة ١٤١٦ -١٩٩٦.
– شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ) ، ط: دار السلام ،ط: المصرية الأولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .
– صحيح البخاري، ت:محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
– طبقات المعتزلة، أحمد بن يحيى بن المرتضى، ت: مؤسسة ديفلز، ط: الثانية بيروت ١٤٠٧ -١٩٨٧ .
– فهم جذور البيان للشيخ غزلان ، د/ محمد سالم أبو عاصي، مكتبة الإيمان بالقاهرة، بدون .
– قضايا في نقد العقل الديني" كيف نفهم الإسلام اليوم "،لمحمد أركون، ترجمة هاشم صالح ، ط: دار الطليعة بيروت، بدون.
– قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر لحسن حنفي ، دار التنوير بيروت، ط:الثانية ١٩٨٣ .
– كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق ، د/ محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر بدمشق ١٩٩٧ .

– لسان العرب، لابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت ، ط: الثالثة – ١٤١٤ هـ .
– لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، لشمس الدين أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ) ،ط: مؤسسة الخافقين– دمشق ، ط: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م .
– مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لابن حزم الظاهري ت : ٤٥٦هـ ، دار الكتب العلمية – بيروت، بدون .
– مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة والمحدثين وكتب الجرح والتعديل، لعبد الفتاح أبو غدة، دار القلم بيروت، بدون .
– مسألة خلق القرآن، وموقف علماء القيروان منها، ودورهم في الذب عن مذهب السلف فيها، أ. د / فهد الرومي ، مطبعة التوبة ١٤١٧ ، ط أولى ١٤١٧ –١٩٩٧ .
– معجم اللغة العربية المعاصرة ، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
– معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن الرازي، (ت: ٣٩٥ هـ) ، ت: عبد السلام هارون ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. .
– مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، د. نصر حامد أبو زيد ، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء المغرب ط: الأولى ٢٠١٤ .
– مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، ت: نعيم زرزور، ط: المكتبة العصرية، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
– مقالتان في التأويل، معالم في المنهج ورصد للانحراف ، أ.د / محمد سالم أبو عاصي ،دار الفارابي للمعارف، ط: الأولى١٤٣٠–٢٠١٠ .
– من التراث والتجديد" موقفنا من التراث القديم " لحسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط : الرابعة ١٤١٢–١٩٩٢ .

– من العقيدة الى الثورة "الإنسان الكامل" ، المركز الثقافي العربي، ط: الأولى ١٩٩٨ .
– مناهل العرفان في علوم القرآن الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط: الثالثة، بدون.
– معالم التنزيل في تفسير القرآن" تفسير البغوي" للإمام البغوي (ت : ٥١٠هـ) ،ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .
– نصر أبو زيد ومنهجه في التعامل مع التراث (دراسة تحليلية) ، رسالة دكتوراه د/ إبراهيم محمد أبو هادي للعام الجامعي ١٤٣٢-١٤٣٣ ، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة .
– نظرات في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في دول المغرب العربي، أ.د / محمد بن زين العابدين رستم ، بحث مقدم إلى مؤتمر "القراءات المعاصرة للقرآن الكريم" ، جامعة شعيب الدكالي كلية الآداب شعبة الدراسات الإسلامية الجديدة المغرب ، ٢٠١١ م .
– نقد الخطاب الديني، د/ نصر حامد أبو زيد ، ط : دار سينا بالقاهرة ، ط: الثانية ١٩٩٤ م .
– نقد النص لعلي حرب ، المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء المغرب ط: الرابعة ٢٠٠٥ .
– هموم الفكر والوطن لحسن حنفي ، ط: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٧.

References :

- 'iishkaliat alqira'at alhadithat lilnasi aldiynii" dirasat naqdiatun", d 'iibrahim talabat husayn ,alaistadh almusharik fi qism althaqafat al'iislamiati, kuliyat alsharieat bialriyad jamieat alamam muhamad bin sueud alaslamiat, majalat aldirasat alearabiat kuliyat dar aleulumi, jamieat alminya.
- 'usul alsharieat limuhamad sayid lieashmawi, t : dar aqra , bayrut ,t : althaaniat 1403- 1983 .
- al'akhta' altaarikhiat walmanhajiat fi mualafat muhamad 'arkun wamuhamad eabid aljabiri "dirasat naqdiat tahliliat hadifatun", du/ khalid kabir ealal, ta: dar almuhtasaba, ta: 'uwlaa sanat 2008 .
- al'iislam bayn alrisalat waltaarikhi, eabd almajid alsharafii, dar altalieati, bayrut, 2001 m .
- al'iislamu, 'uwruba, algharba, rihanat almaenaa wa'iiradat alhaymanat ,lmuhamad 'arkun tarjamat hashim saliha, dar alsaaqi, t : althaaniat 2001.
- alantisar fi alradi ealaa almuetazilat alqadariat al'ashrar , li'abi alhusayn yahyaa bin 'abi alkhayr bin salim aleumranii alyamanii alshaafieii (t: 558h),t: sueud bin eabd aleaziz alkhalaf , ta: 'adwa' alsalaf, alrayad, almamlakat alearabiat alsaeudiati, ta: al'uwlaa, 419h/1999m.
- alainhirafat almueasirat fi altafsir " alqira'at alhadathiat 'unmudhaja " 'a. d / shakir mahmud mahdi aleazaawi , jamieat diali kuliyat aleulum al'iislamiat , wahu bahth bimajalat kuliyat altarbiat jamieat wasit 2020 .

- altahrif almueasir fi aldiyn ," tasalul fi al'anfaq baed alsuqut fi al'aemaq , makidat almarkisiat walbatiniat almueasirat taht shiear qira'at mueasirat lilnusus al'iislamiat almasadiri", lieabd alrahman hasan habankat almaydanii , ta: dar alqalam bidimashq , t : al'uwlaa 1418 - 1997 .
- alturath waltajdid "mawqifuna min alturath alqadimi", du/ hasan hanafay, almuasasat aljamieiat lilnashr waltawziei, ta: alraabieat 1412- 1992 .
- altafsir alsiyasiu lilqadaya aleaqdiat fi alfikr alearabii almueasiri, sultan bin eabd alrahman aleumayri , markaz altaasil lildirasat walbuhuth bialsaeudiat , ta: 'uwlaa 1431hi .
- altawzif alhadathiu layat almar'at wa'iishkaliaatuh " jamal albanaa" namudhajan , d . kifah kamil 'abu hunud , t : alfaruq bial'urduni , ta: al'uwlaa 1433 -2012 .
- altayaar aleilmaniu alhadith wamawqifuh min tafsir alquran alkarim eard wanaqd , talif munaa muhamad bahi aldiyn alshaafieiu , t : al'uwlaa 1429 , ta: dar alyusr bialqahira .
- alhadathiuwn alearab wamawqifuhum min alqisas alquranii earad wanuqdi(risalat dukturah min jamieat alyarmuk , kuliyat alsharieat , qism 'usul aldiyn 2010), d basaam muhamad mahmud eubidat .
- alhadathiuwn waistinaf alqawl bikhalq alquran , lihbasi khalid , bahath bimajalat almunhal aljazayiriat , almujalad alsaabie aleadadi1/2021 .

- alkhitab waltaawil linasr hamid 'abu zayd , almarkaz althaqafiu alearabiu , aldaar albayda' bialmaghribi, t : althaalithat 2008.
- aldirasat alhadathiat lilquran alkarim min daeawaa altajdid 'iilaa 'iitharat alshubhat , lisaeid eubaydi , bahith fi hiwar alhadarat wamuqaranat al'adyan , dawriat nama' lieulum alwahy waldirasat al'iinsaniat ,aleadad 4 , 5 lileam 2017-2018 m .
- alradu ealaa aljihmiati, lildaarmii (t: 280hi) , t: badr bin eabd allah albadr, ta: dar aibn al'athira- alkuayti, ta: althaaniati, 1416h - 1995m.
- alshafa bitaerif huquq almustafaa, lilqadi eiad (t: 544hi) , dar alfayha' - eamaan , ta: althaaniat - 1407 hu .
- alzaahirat alquraniat limalik bin nabi , tarjamat eabd alsabur shahin , dar alfikr dimashq - suriat1420- 2000.
- aleibr fi khabar min ghabra, lishams aldiyn aldhahabii (t: 748hi) , t: 'abu hajir muhamad alsaeid bn basyuni zaghlul , ta: dar alkutub aleilmiat - bayrut .
- aleilmaniuwn walquran alkarim " tarikhiat alnasi " du/ 'ahmad adiris altaeaan , kuliyat alsharieat bidimashq , t : dar aibn hazm bialsaeudiat , ta: al'uwlaa 1428 -2007 .
- alfiraq aliaslamiat madkhal wadirasat , da. ealiun eabd alfataah maghribiun , maktabat wahbat , t :althaaniat 1415- 1995.
- alfarq bayn alfiraq wabayan alfirqat alnaajiat , li'abi mansur al'asfarayini(ti: 429h), dar alafaq aljadidat - bayrut, ta: althaaniati, 1977.

- alfikr alaslamiu qira'at eilmiat limuhamad 'arkun, tarjamat hashim salih , markaz al'iinma' alearabii bayrut , ta: althaaniat 1996 m .
- alqira'at alhadathiat lilnasi alquranii , dirasat tahliliat naqdiat , du/ hamaadi hawari .
- alquran min altafsir almawruth 'iilaa tahlil alkhatabi, limuhamad 'arkun , tarjamat hashim salih, dar altalieat bayrut ta: al'uwlaa 2001.
- alkamil fi altaarikh liaibn al'uthir (t: 630hi) , ta: eumar eabd alsalam tudamari, ta: dar alkutaab alearabi, bayrut - lubnan ,t: al'uwlaa, 1417h / 1997m.
- almuetamid fi 'usul alfiqah, limuhamad bin eali altayib 'abi alhusayn albasry almuetazilii (t: 436hi) , ti: khalil almis, ta: dar alkutub aleilmiat - bayrut ,t: al'uwlaa ، 1403.
- almufradat fi gharayb alqurani, alraaghib al'asfuhanii (t: 502 hu) , ta: safwan eadnan aldaawudi , dar alqalami, aldaar alshaamiat - dimashqa, bayrut , ta: al'uwlaa - 1412 ha.
- alnaba aleazim nazarat jadidat fi alquran alkarim , muhamad bin eabd allah diraz (t : 1377ha) , dar alqalam , t : 1426hi- 2005m .
- alnasu alsultat ,alhaqiqa "alfikr aldiyniu bayn 'iiradat almaerifat wa'iiradat alhaymanati" , du. nasr hamid 'abu zayd , almarkaz althaqafiu alearabiu bialdaar albayda' almaghrib ta: al'uwlaa 1995 .
- alnasu alquraniu 'amam 'iishkaliat albinyat walqira'at litib tizini, t : dar alyanabie bidimashq 1997 ma.

- alwahy alquraniu fi almanzur aliastishraqii , d . mahmud madi , t : dar aldaewat bial'iiskandariat 1416 - 1996.
- alwahy almuhamadiu , limuhamad rashid rida (t: 1354hi), dar alkutub aleilmiat - bayrut, ta: al'uwlaa, 1426 hi - 2005m.
- tarikhiat alfikr alearabii al'iislamii limuhamad 'arkun, tarjamat hashim salih, markaz al'iinma' alearabii bayrut, ta: althaaniat 1996m .
- tarbiat aljins albasharii lilsinji, tarjamat wataeliq hasan hanafiun , dar altanwir bibayrut , t : 2006 .
- tiqniaat alhadathiiyn - tawzif almukhrijat albadaeiat -, 'iiedad eamaar bin muhamad al'arkaniu , bahith bimarkaz salaf lilbuhuth waldirasat .

'alfaz alquran alkarim , dirasat tasiliatun, lieabdalsalam muqbil almajidi , ta: muasasat alrisalat , ta: al'uwlaa 1421-2000.ρ- tulqi alnabiu

- tamhid al'awayil fi talkhis aldalayila, li'abi bakr albaqlani almalikii (t: 403hi) ,t: eimad aldiyn 'ahmad haydar, ta: muasasat alkutub althaqafiat - lubnan ,t: al'uwlaa, 1407h - 1987m.
- jamie albayan fi tawil alqurani, liabn jarir altabarii (t: 310hi) , t: 'ahmad muhamad shakir, ta: muasasat alrisalati, ta: al'uwlaa, 1420 hi - 2000 mi.
- khasayis alquran alkarim lilshaykh muhamad muhamad almadanii, t : matabie fayin layin, t : 'uwlaa 1422-2001 .
- khalaq alquran bayn almuetazilat wa'ahl alsanat lifakhr aldiyn alraazi t 606 ha , t : 'ahmad hijazi alsaqaa , t dar aljil bayrut , ta: 'uwlaa 1413 -1992 .

- risalat fi allaahut walsiyasati, libarukh sbinuza, tarjamat hasan hanafay, murajaeat fuad zakaria, dar altanwir bayrut, ta: 2005 .
- shubhat wa'abatil alkhusum walradu ealayha, limuhamad mutawaliy alshaerawi, jame watartiba: eabd alqadir 'ahmad eataa, maktabat alturath al'iislamii, biduni.
- sharh al'usul alkhamsat , lilqadi eabd aljabaar bin 'ahmadu, ti: d / eabd alkarim euthman, ta: maktabat wahbat bialqahirati, ta: althaalithat 1416 -1996.
- sharh aleaqidat altuhawiat , liabn 'abi aleizi alhanafii (t: 792hi) , ta: dar alsalam ,t: almisriat al'uwlaa 1426h - 2005m .
- tabaqat almuetazilati, 'ahmad bin yahyaa bin almurtadaa, ta: muasasat difilz, ta: althaaniat bayrut 1407 -1987 .
- fahum judhur albayan lilshaykh ghazlan , du/ muhamad salim 'abu easi, maktabat al'iiman bialqahirati, bidun .
- qadaya fi naqd aleaql aldiynii" kayf nafham al'iislam alyawma" ,lmuhamad 'arkun, tarjamat hashim salih , ta: dar altalieat bayrut, bidun.
- qadaya mueasirat fi fikrina almueasir lihasan hanafay , dar altanwir bayrut, ta:althaaniat 1983 .
- kubraa alyaqiniaat alkawniat wujud alkhaliq wawazifat almakhluq , du/ muhamad saeid ramadan albutiu , dar alfikr bidimashq 1997 .
- lisan alearibi, liabn manzur al'iifriqii (t: 711 ha), dar sadir, bayrut , ta: althaalithat - 1414 hu .

- lawamie al'anwar albahiat wasawatie al'asrar al'athariat lisharh aldurat almadiat fi eaqd alfirqat almaradiat , lishams aldiyn 'abi aleawn muhamad bin 'ahmad bin salim alsifarinii alhanbalii (t: 1188hi) ,ta: muasasat alkhafiqina- dimashq , ta: althaaniat - 1402 hi - 1982 m .
- maratib al'iijmae fi aleibadat walmueamalat waliaetiqadati, liabn hazm alzaahiri t : 456h , ta: dar alkutub aleilmiat - bayrut, bidun .
- mas'alat khalq alquran wa'atharuha fi sufuf alruwaat walmuhdithin wakutub aljurh waltaedili, lieabd alfataah 'abu ghudat , ta: dar alqalam bayrut, bidun .
- mas'alat khalq alqurani, wamawqif eulama' alqayrawan minha, wadawrihim fi aldhibi ean madhhab alsalaf fiha, 'a. d / fahd alruwmi , t : matbaeat altawbat 1417 , t 'uwlaa 1417 -1997 .
- muejam allughat alearabiat almueasirat , du/ 'ahmad mukhtar eabd alhamid eumar (t: 1424ha), ealam alkatub, ta: al'uwlaa, 1429 hi - 2008 m .
- muejam maqayis allughati, 'ahmad bin faris bin alraazi, (t: 395 ha) , ti: eabd alsalam harun , dar alfikri, 1399hi - 1979m. .
- mafhum alnasi dirasat fi eulum alqurani, du. nasr hamid 'abu zayd , almarkaz althaqafiu alearabiu bialdaar albayda' almaghrib ta: al'uwlaa 2014 .
- maqalat al'iislamiiyn wakhtilaf almusaliyna, li'abi alhasan al'ashearii (t: 324h), t: naeim zarzur, ta: almaktabat aleasriati, ta: al'uwlaa, 1426h - 2005m.

- maqalatan fi altaawili, maealim fi almanhaj warasd lilainhiraf , 'a.d / muhamad salim 'abu easi ,dar alfarabi lilmaearifi, ta: al'uwlaa1430-2010 .
- min alturath waltajdidu" mawqifana min alturath alqadim " lihasan hanafay, almuasasat aljamieiat lildirasat walnashr waltawzie , t : alraabieat 1412-1992 .
- min aleaqidat alaa althawra "al'iinsan alkamili" , almarkaz althaqafiu alearabii, ta: al'uwlaa 1998 .
- manahil aleirfan fi eulum alquran alzzurqany (t: 1367hi), matbaeat eisaa albabi alhalbi, ta: althaalithati, biduni.
- nasr 'abu zayd wamanhajuh fi altaeamul mae alturath (dirasat tahliliatun) , risalat dukturah du/ 'iibrahim muhamad 'abu hadi lileam aljamieii 1432-1433 , jamieat 'um alquraa, kuliyat aldaewat wa'usul aldiyn, qism aleaqida.
- nazarat fi alqira'at almueasirat lilquran alkarim fi dual almaghrib alearabii, 'iiedadu: 'a.d/ muhamad bin zayn aleabidin rustum , bahath muqadam 'iilaa mutamari" alqira'at almueasirat lilquran alkarimi" , jamieat shueayb aldakali kuliyat aladab shuebat aldirasat al'iislamiat aljadidat almaghrib , 2011 m .
- naqd alkhitab aldiynii, du/ nasr hamid 'abu zayd , t : dar sina bialqahirat , ta: althaaniat 1994 m .
- naqd alnasi lieali harb , almarkaz althaqafiu alearabiu bialdaar albayda' almaghrib ta: alraabieat 2005 .
- humum alfikr walwatan lihasan hanafi , ta: maktabat al'anjilu almisriat 1997.